

كتب الفراشة - القِصص العالمية



مغامرات هاكلبري فاي



القِصص العالمية

٢٠. مغامرات هاكلبري فاي

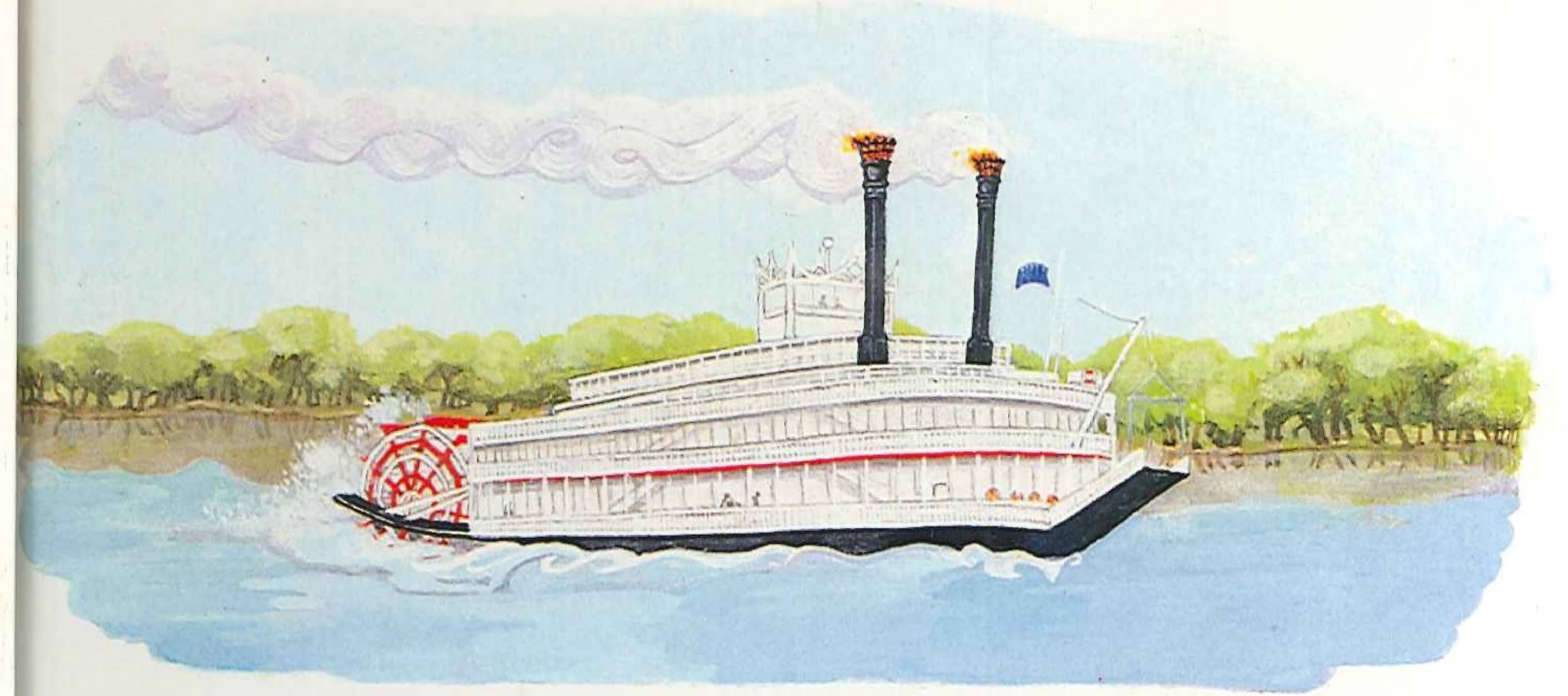
مكتبة لبنات ناشرون



كتب الفراشة

القِصص العالمية ٢٠. مغامرات هاكلبري فاي

«مغامرات هاكلبري فاي» لمارك توين رواية آسرة من كل جوانبها. فالفتى هاكلبري فاي - أو «هاك» - شخصية متميزة مُحِبَّة إلى القارئ. وهناك أيضاً شخصيات أخرى تتنوع بين شجاع ومخلص ومناق وطامع ألخ... أمّا الأحداث فمغامرات مُتلاحقة تحبس الأنفاس لأنها تعجّ بالمخاطر وترخر بالمفاجآت وتبائن بين مواقف مأساوية وأخرى ساحرة. إنه كتاب يُقرأ من أوله إلى آخره من دون ملل.



مكتبة لبنات ناشرون

AL-KHERAJI BOOKSHOP

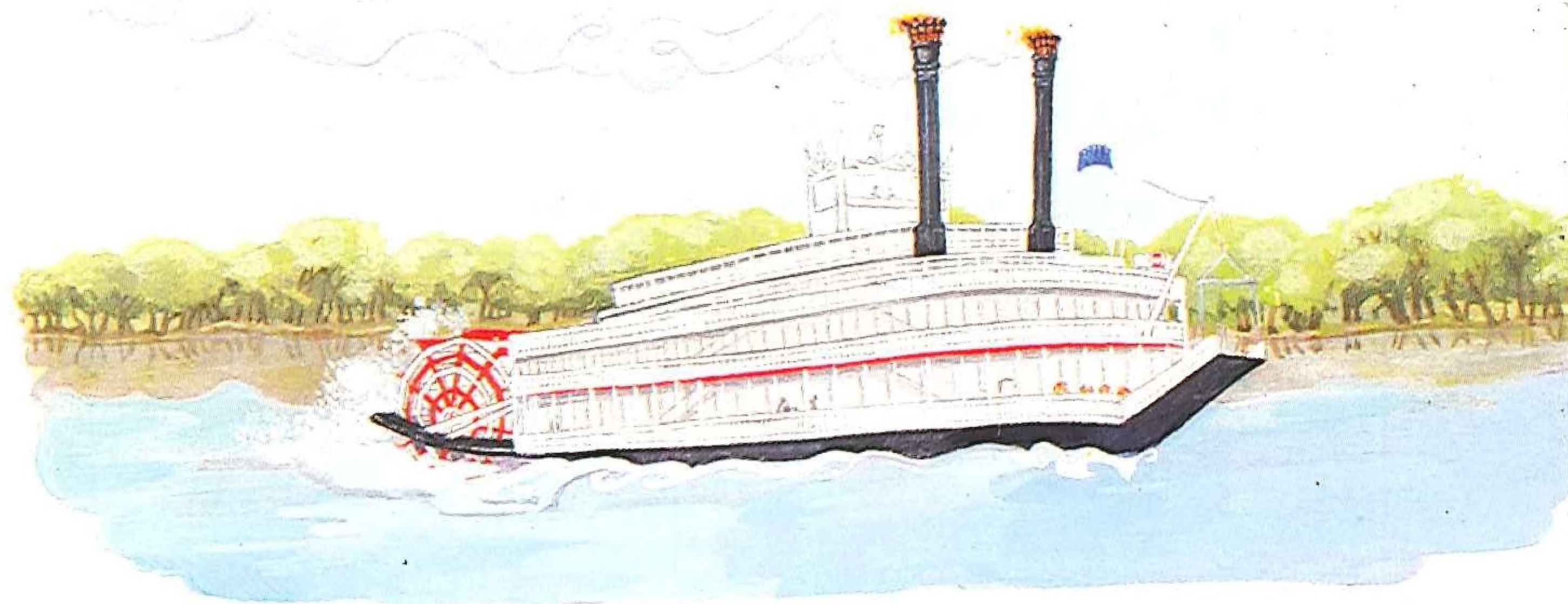
17.00 SR



119001778

كتب الفرافشة - القصص العالمية

مغامرات هاكليري فين



تأليف: مارك توين
ترجمة: هاكي تابري



مكتبة لبنات ناشرون

TI

ور
من

،
ر
رّة

مكة
في

ر
لما

نياة
مين

٣



مقدمة

قام مارك توين بكتابة «مغامرات هاكليري فين» (The Adventures of Huckleberry Finn) على فتراتٍ متقطعة، فقد أنجزَ الفصولَ الأولى خلالَ عامٍ ١٨٧٦ بُعيدَ ظهورِ روايته «مغامرات توم سوير» (The Adventures of Tom Sawyer). ثمَّ توقَّفَ عن إكمالها، وعادَ إليها بعدَ ثلاثِ سنواتٍ ليكتبها بشكلٍ متقطعٍ إلى أنَّ أنهاها سنةَ ١٨٨٣، ونُشِرتَ في السنةِ التاليةِ.

«مغامرات هاكليري فين» هي روايةٌ مغامراتٍ مثيرةٌ ومُسليةٌ. في الفصلِ الأوَّلِ، نتعرَّفُ إلى راويةِ القصةِ وبطلها «هاكليري فين» أو «هاك»، وهو فتىٌ في الرابعةِ عشرةِ من العمرِ. يُخبرنا هاك عما جرى معه منذُ أنْ خطفه والدهُ السَّكيرُ الفظُّ من بيتِ الأرملةِ السيِّدةِ دوغلاس. ويروي لنا كيفَ تمكَّنَ من الهربِ والتَّقيُّ بالعبدِ الفارِّ جيم، وترافقا في السَّفرِ في نهرِ الميسيسيبي حيثُ واجها الكثيرَ من العقباتِ والتَّقيُّ بالعديدِ من النَّاسِ. ويسمِّدُ مارك توين خلفيَّةَ هذهِ الروايةِ من ذكرياته الشخصيةِ عن نهرِ الميسيسيبي عندما كانَ فتىً. إنَّه يصفُ - بشكلٍ دقيقٍ ومُفعمٍ بالحيويَّةِ - المَدُنَ والأراضيَ وطبيعةَ الحياةِ في مُحيطِ النهرِ. كما إنَّه يسمِّدُ أوصافه من ذكرياته عن مُختلفِ أنواعِ النَّاسِ الذينَ عاشوا في تلكِ المِنطقةِ.

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١

بيروت - لبنان

وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

© الحقوق الكاملة محفوظة

لمكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل

الطبعة الأولى ١٩٩٥

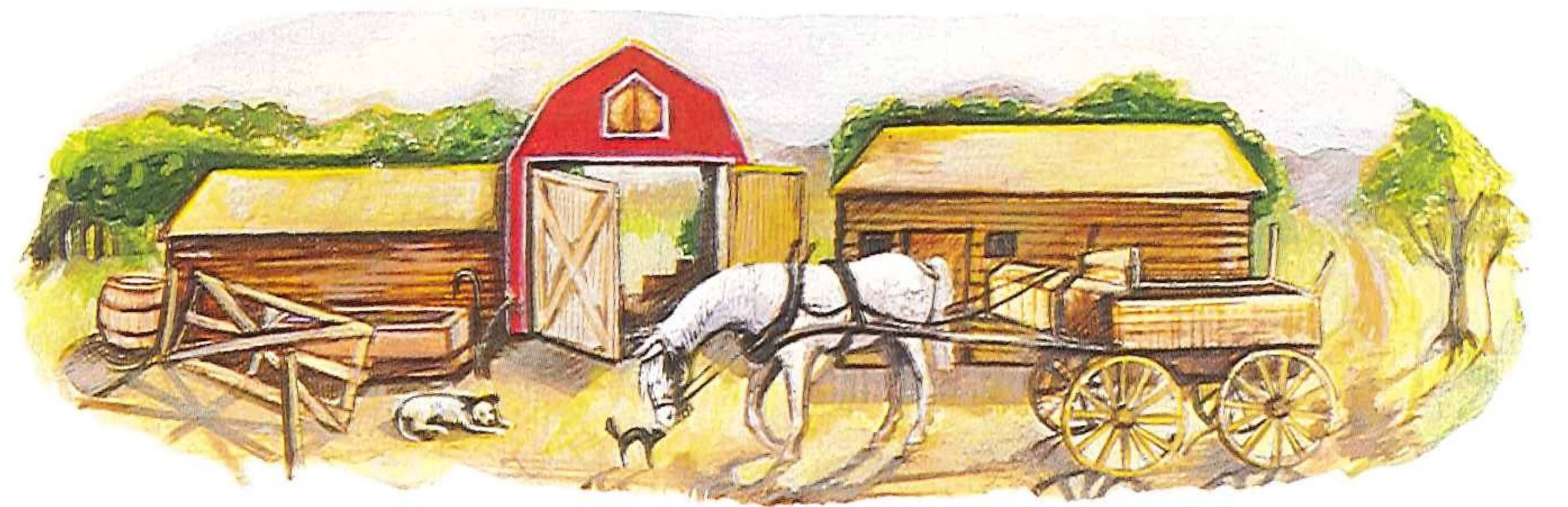
رقم الكتاب 01 C 196816

طبع في لبنان

مغامرات هاكليري فين

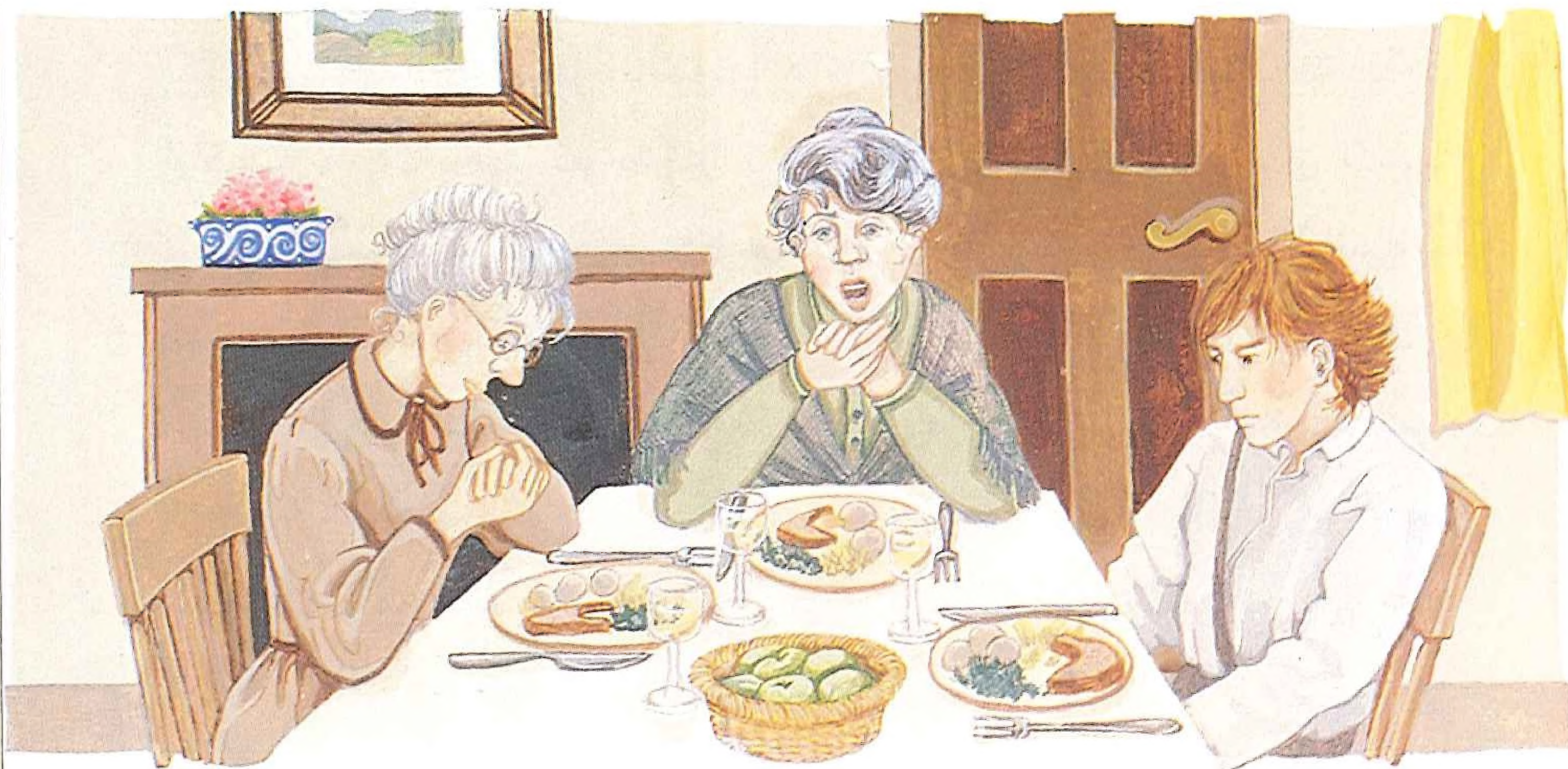
ولَيْسَتْ الرِّوَايَةُ مَجْمُوعَةٌ مُغَامِرَاتٍ فَحَسْبُ، فَهُنَاكَ شَيْءٌ أَعَمُّ، إِنَّهُ دِرَاسَةُ شَخْصِيَّاتِ النَّاسِ وَأَهْوَائِهِمْ، وَنَظَرَةٌ نَاقِدَةٌ إِلَى الْمُجْتَمَعِ. وَمَعَ تَقَدُّمِ مَارْكَ تُوَيْنِ فِي السَّنِّ أَصْبَحَ ذَا نَظَرَةٍ سَوْدَاءَ إِلَى طَبِيعَةِ الْبَشَرِ. وَمَعَ أَنَّ الْهَدَفَ الْأَسَاسِيَّ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ هُوَ التَّشْوِيقُ وَالتَّسْلِيَةُ، فَإِنَّهَا تُقَدِّمُ لِلْقَارِئِ نَمَازِجَ عَنْ أَنَاسٍ مُنَافِقِينَ وَطَامِعِينَ وَفَاسِدِينَ. فَهُنَاكَ آلُ شِيرِدْسُونِ وَعَائِلَةُ الْكُولُونِيلِ غِرَانْغُفُورْدِ الَّذِينَ يَسُودُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاءُ الْمُمِيتُ وَالْحِقْدُ الْبَغِضُ. وَهُنَاكَ أَفْرَادٌ ظَلَمَهُمُ الْمُجْتَمَعُ وَالنَّاسُ كَهَا كَلْبِرِي فِيْنِ نَفْسِهِ وَصَدِيقِهِ جِيمِ الَّذِي كَانَ ضَحِيَّةَ لِنِظَامِ اسْتِعْبَادِ الزُّنُوجِ الَّذِي كَانَ سَارِيًّا فِي الْوِلَايَاتِ الْجَنُوبِيَّةِ قَبْلَ انْدِلَاعِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ. وَهَذِهِ الشَّخْصِيَّاتُ - جَمِيعًا - تُقَدِّمُ إِلَيْنَا مِنْ خِلَالِ نَظَرَةِ هَا كَلْبِرِي فِيْنِ إِلَيْهَا.

عِنْدَمَا ظَهَرَتْ رِوَايَةُ هَا كَلْبِرِي فِيْنِ انْتَقَسَمَتْ آرَاءُ النَّاسِ حَوْلَهَا. فَقَدْ صُدِمَ الْكَثِيرُونَ بِصَرَاحَتِهَا الْقَاسِيَةِ، وَلَكِنْ فَرِيقًا آخَرَ أُعْجِبَ بِمَزَايَاهَا كَقِصَّةِ مُغَامِرَاتٍ شَقِيقَةٍ وَكَبَحْثٍ عَمِيقٍ فِي طَبِيعَةِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْعِلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ.



وَرَدَ ذِكْرُ مُغَامِرَاتِ لَهَا كَلْبِرِي فِيْنِ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ «مُغَامِرَاتِ توم سُوِير». وَقَدْ قَرَأْنَا عَنْ أَخْبَارِ بُولِي، عَمَّةِ توم، وَصَدِيقَتِهَا الْأَرْمَلَةِ السَّيِّدَةِ دَوْغْلَاسِ الَّتِي تَعَهَّدَتْ تَرْبِيَةَ هَا كَلْبِرِي فِيْنِ وَكَأَنَّهُ ابْنُ لَهَا. وَرَأَيْنَا كَذَلِكَ أَنَّ شَقِيقَةَ السَّيِّدَةِ دَوْغْلَاسِ الْآيْسَةَ وَاتْسُونِ، الْعَانِسَ الْمُتَجَهِّمَةَ الْوَجْهَ، كَانَتْ تُعْطِي هَاك (أَيِ هَا كَلْبِرِي) دُرُوسًا فِي الْعُلُومِ وَالْدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ. وَقَدْ وَقَعَ توم وَهَاك عَلَى كَثَرٍ مِنَ الْقِطْعِ الذَّهَبِيِّ، مُخْبِئًا فِي إِحْدَى الْمَغَاوِرِ، أَمَّنَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَبْلَغَ سِتَّةِ آلَافِ دُولَارٍ أَوْدَعَاهَا عِنْدَ صَدِيقِهِمَا الْقَاضِيِ ثَاثِيرِ الَّذِي تَكْفَّلَ بِاسْتِثْمَارِهَا وَحِفْظِهَا لَهُمَا.

وَجَدَ هَاك نَمَطَ الْحَيَاةِ عِنْدَ السَّيِّدَةِ دَوْغْلَاسِ مُمِلًا وَثَقِيلًا، إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَرْمَلَةُ وَشَقِيقَتُهَا الْآيْسَةُ وَاتْسُونُ تَسْعِيَانِ - جَاهِدَتَيْنِ - إِلَى تَهْذِيبِ هَاكِ وَتَعْوِيدِهِ عَلَى مَبَادِيِ التَّصَرُّفِ وَالسُّلُوكِ، حَتَّى إِنَّهُ يَتَسَّ يَوْمًا، وَهَرَبَ مِنَ الْبَيْتِ. لَكِنْ توم سُوِيرَ أَقْنَعَهُ بِالْعُودَةِ، فَعَادَ لِيَتَحَمَّلَ - عَلَى مَضَضٍ - جَوَّ الرِّسْمِيَّاتِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الْمَسْلُكِيَّةِ الْمُمِلَّةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِ. كَانَ يَجِدُ ثِيَابَهُ الْجَدِيدَةَ غَيْرَ مُرِيحَةٍ، وَجَرَسَ إِعْلَانِ مَوْعِدِ





ثَلَاثَةً عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ. هُنَاكَ تَأَسَّسَتْ «عِصَابَةُ توم سُوِير» الَّتِي تَعَاهَدَ أَفْرَادُهَا عَلَى
الْحِفَاطِ عَلَى سِرِّيَّتِهَا وَالتَّعَاوُنِ فِي أَعْمَالِ «السَّرِقَةِ وَالْإِجْرَامِ»، عَلَى أَنْ تَكُونَ غَنَائِمُهُمْ
مِنَ الْعَرَبَاتِ وَقَوَافِلِ الْمُسَافِرِينَ.

أَخْبَرَ توم أَفْرَادَ الْعِصَابَةِ، فِي إِحْدَى اللَّيَالِي، أَنَّهُ قَدْ خَطَّطَ لِلْقِيَامِ بِعَمَلِيَّةٍ
«كَبِيرَةٍ»، تَقْضِي بِإِقَامَةِ كَمِينٍ لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ الْإِسْپَانِ وَالْأَثْرِيَاءِ الشَّرْقِيِّينَ
سَيَعْبُرُونَ الْوَادِيَّ فِي قَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْقِيلَةِ وَمِنْ سِتْمِثَةٍ جَمَلٍ كُلُّهَا مُحَمَّلَةٌ بِالْمَاسِ
وَالْجَوَاهِرِ. وَعَصَرَ الْيَوْمِ التَّالِيِ كَمَنَ أَفْرَادُ الْعِصَابَةِ فِي مَوَاقِعِهِمْ مُسَلَّحِينَ بِالسُّيُوفِ
الْخَشِيبَةِ وَالْعِصِيِّ وَالْهَرَاوَاتِ. وَلَكِنْ، بَدَلًا مِنْ قَافِلَةِ التُّجَّارِ وَالْأَثْرِيَاءِ، رَأَوْا
مَجْمُوعَةً مِنْ أَوْلَادِ الْمَدْرَسَةِ فِي نَزْهَةٍ مَعَ بَعْضِ الْمُعَلِّمَاتِ. وَلَمَّا أَعْرَبَ أَفْرَادُ
الْعِصَابَةِ عَنْ خِيَّةِ أَمْلِهِمْ قَالَ توم إِنَّ سَاحِرًا شَرِيرًا قَدْ حَرَّكَ عَصَاهُ فَتَحَوَّلَ التُّجَّارُ إِلَى
تَلَامِيذَ.



الطَّعَامِ سَخِيفًا، وَعَدَمَ بَدْءِ الْأَكْلِ قَبْلَ تِلَاوَةِ صَلَاةِ الشُّكْرِ شَيْئًا مُزْعِجًا. وَكَانَ يَمَلُّ
الاسْتِمَاعَ إِلَى الْمَوَاعِظِ الَّتِي تُنذِرُهُ بِأَنَّهُ سَيَكْتُونُ بِنَارِ جَهَنَّمَ إِنْ هُوَ أَسَاءَ التَّصَرُّفَ
وَخَالَفَ التَّعَالِيمَ.

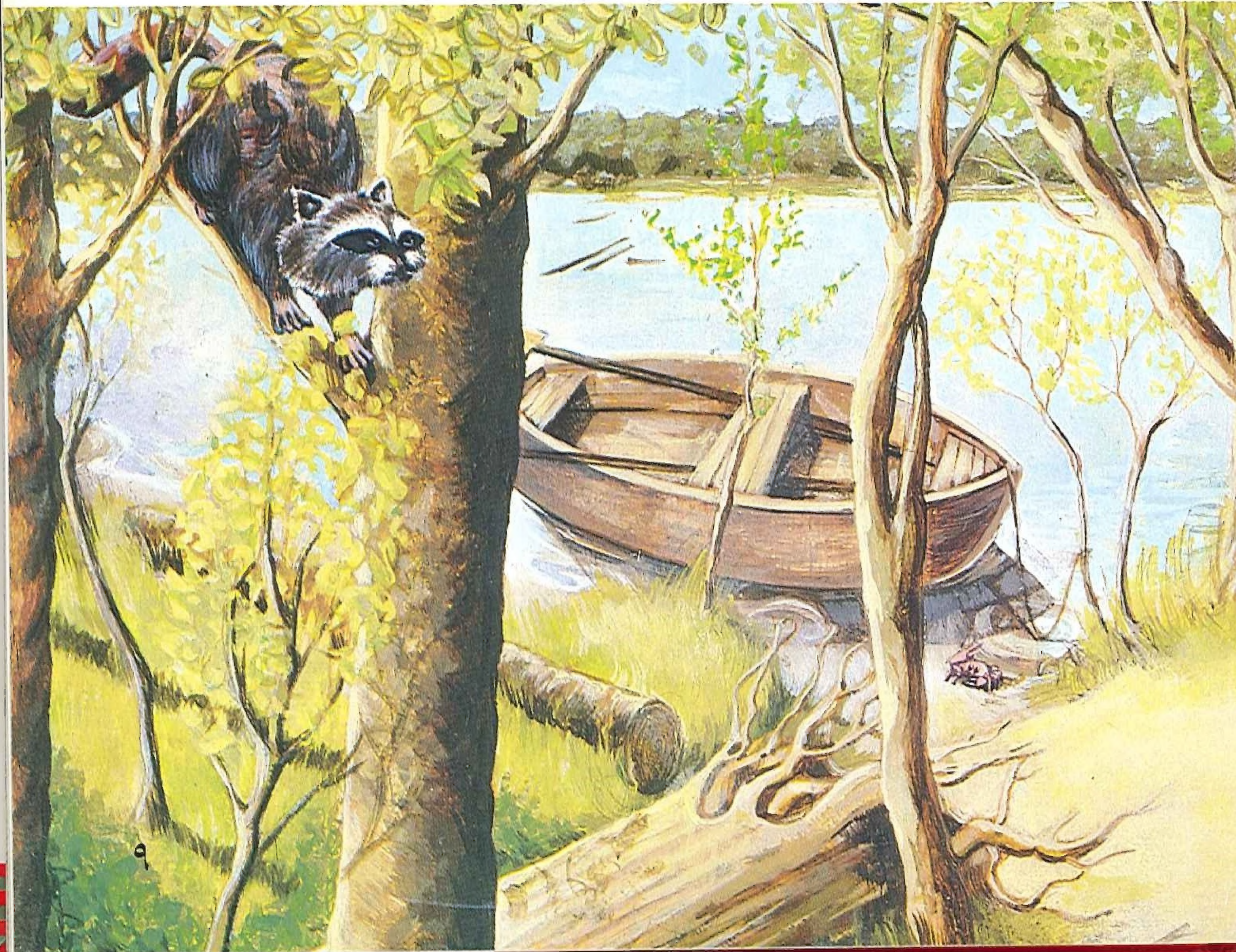
وَحَتَّى عِنْدَمَا كَانَ يَخْتَلِي بِنَفْسِهِ فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ لَيْلًا، بَعِيدًا عَنْ مُرَاقَبَةِ السَّيِّدَتَيْنِ
الْفَاضِلَتَيْنِ، كَانَ يُحْسُّ بِالْوَحْدَةِ وَالْكَآبَةِ. كَانَ يَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ، فَيَرَى النُّجُومَ فِي
السَّمَاءِ، وَيَسْمَعُ صَوْتَ الرِّيحِ تَتَلَاعَبُ بِأَوْرَاقِ الشَّجَرِ وَأَبْوَابِ السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ تَعْبُرُ
النَّهْرَ. كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا رُمُوزًا لِلْحُرِّيَّةِ الَّتِي يَنْشُدُ وَلِحَيَاةِ الْمُغَامِرَاتِ الَّتِي يَتَمَنَّى.
لِذَلِكَ كَانَ يُسِرُّ عِنْدَمَا يَسْمَعُ، فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، صَوْتَ مُوَاءٍ خَفِيفًا تَحْتَ نَافِذَتِهِ.
كَانَ هَذَا الصَّوْتُ يَعْنِي أَنَّ توم يَنْتَظِرُهُ فِي الْحَدِيقَةِ، فَيَهْبُ هَاكَ فُورًا، وَيُطْفِئُ
الشَّمْعَةَ فِي غُرْفَتِهِ، وَيَسْلُ مِنْ النَّافِذَةِ وَيَنْزِلُ عَلَى عَمُودِ مَانِعَةِ الصَّوَاعِقِ لِيَلْتَقِيَ بِتوم.
كَانَ الصَّدِيقَانِ يَذْهَبَانِ مَعًا إِلَى «الْمَقَرِّ السَّرِيِّ» فِي كَهْفٍ يَبْعُدُ حَوَالَى كِيلُومَتَرَيْنِ أَوْ

مَعَ أَنَّ هَاك، كَانَ يُشَارِكُ، مِنْ حِينٍ لِآخَرٍ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُغَامَرَاتِ، فَإِنَّهُ ظَلَّ، خِلَالَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، يَتَحَمَّلُ رَتَابَةَ الْحَيَاةِ الْمَدْرَسِيَّةِ وَإِزْعَاجَ قُيُودِ حُسْنِ التَّصَرُّفِ. تَعَلَّمَ عَلَى يَدِ الْآنِسَةِ وَاتَّسَوْنَ مَبَادِيَّ الْقِرَاءَةِ، وَالْمَّ بِشَيْءٍ مِنْ أُصُولِ الْكِتَابَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَجِدُ صُعُوبَةً فِي الْحِسَابِ. وَقَدْ سَعَى، لِيُونَسَ وَحْدَتَهُ، إِلَى كَسْبِ صَدَاقَةٍ جَيِّمٍ، وَهُوَ عَبْدٌ زَنْجِيٌّ لَدَى الْآنِسَةِ وَاتَّسَوْنَ. وَوَجَدَ أَنَّ هَذِهِ الصَّدَاقَةَ تَبْعُدُ عَنْهُ وَعَنْ جَيِّمِ الْوَحْشَةِ، مَعَ أَنَّ الْمُجْتَمَعَ لَمْ يَكُنْ لِيُرْحَبَ بِمِثْلِ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالزَّنُوجِ.



ظَهَرَ وَالِدُ هَاك يَوْمًا بِشَكْلِ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ. كَانَ رَجُلًا بَغِيضًا، عَاطِلًا عَنِ الْعَمَلِ، بَدِيءَ اللِّسَانِ، يَكَادُ لَا يُفِيْقُ مِنْ سُكْرِهِ. وَقَدْ أَعْرَبَ عَنْ رَفْضِهِ تَعْلِيمَ ابْنِهِ وَتَهْدِيَهُ، وَصَبَّ غَضَبَهُ عَلَى السَّيِّدَةِ دَوْغْلَاسَ مُعْتَبِرًا إِيَّاهَا سَبِيًّا فِي إِفْسَادِ ابْنِهِ. اسْتَنْجَدَتِ السَّيِّدَةُ دَوْغْلَاسَ بِشَقِيقَتَيْهَا وَبِالْقَاضِي، وَطَرَدَتْهُ. فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ رَدَّ عَلَى ذَلِكَ بِخَطْفِ ابْنِهِ هَاك، وَأَخَذَهُ - عَبْرَ النَّهْرِ - إِلَى وِلَايَةِ الْيُونِي. وَقَدْ حَبَسَهُ هُنَاكَ فِي كُوخٍ وَسَطَ غَابَةِ، وَقَامَ بِحِرَاسَتِهِ، مُسَلِّحًا بِبُنْدُوقِيَّةٍ، لِيَمْنَعَ هُرُوبَهُ أَوْ عَوْدَتَهُ.

فُوجِيَ هَاكُ بِأَنَّهُ قَدْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ هُنَاكَ، إِذْ كَانَ خَالِيًا الْهَمَّ، يَقْضِي يَوْمَهُ فِي رَاحَةٍ تَامَّةٍ، يُدَخِّنُ عَلَى هَوَاهُ وَيَضْطَاذُ السَّمَكَ مَتَى يَشَاءُ، بَعِيدًا عَنْ عَذَابِ الدَّرْسِ وَقَسْوَةِ قَوَاعِدِ السُّلُوكِ وَالْآدَابِ. مُشْكِلَتُهُ الْوَحِيدَةُ هِيَ أَنَّ أَبَاهُ السَّكَّيرَ كَانَ يَضْرِبُهُ بِوَحْشِيَّةٍ، وَيَحْبِسُهُ أحيانًا دَاخِلَ الْكُوخِ عِدَّةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ، عِنْدَ غِيَابِهِ. لِذَلِكَ قَرَّرَ



الهرَبَ ، فَأَخَذَ يَعْمَلُ لَيْلَ نَهَارٍ عَلَى حَفْرِ ثُغْرَةٍ فِي الْجِدَارِ الْخَشَبِيِّ لِلْكُوخِ بِوَاسِطَةِ
مِنْشَارٍ قَدِيمٍ .

كَانَ هَاكَ يَعْلَمُ أَنَّ مَاءَ النَّهْرِ ، فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ ، أَيُّ فِي شَهْرِ حَزِيرَانَ
(يُونِيُو) ، يَكُونُ مُرْتَفِعًا وَمُتَدَفِّقًا بِسُرْعَةٍ ، حَامِلًا مَعَهُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْحُطَامِ
وَالْأَخْشَابِ ، وَحَتَّى إِنَّهُ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ يَحْمِلَ أحيانًا زَوَارِقَ صَغِيرَةً أَوْ عَوَّامَاتٍ .
وَقَدْ تَمَكَّنَ هَاكَ بِالْفِعْلِ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى زَوَرَقٍ مِنْهَا وَخَبَّاهُ لِيَسْتَعْمِلَهُ عِنْدَمَا يَحِينُ
الْوَقْتُ . لِذَلِكَ أَنْتَهَزَ فُرْصَةً ذَهَابِ وَالِدِهِ ، يَوْمًا ، إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحَفَّ عَبْرَ الثَّقَبِ
الَّذِي أَحْدَثَهُ ، وَمَلَأَ الزَّوَرَقَ بِالزَّادِ . ثُمَّ فَكَّرَ بِخِدْعَةٍ تُبْعِدُ عَنْهُ خَطَرَ الْمَلَا حَقَّةِ .
فَاصْطَادَ ثَوْرًا بَرِّيًّا ، وَلَطَّخَ بِدَمِهِ جِدَارَ الْكُوخِ وَرَشَّهُ عَلَى الْأَرْضِ حَوْلَهُ ، لِيُوحِيَ
بِأَنَّ مَعْرَكَةً حَامِيَةً قَدْ دَارَتْ هُنَاكَ . بَعْدَ ذَلِكَ ، وَضَعَ بِضْعَةَ أَحْجَارٍ كَبِيرَةٍ فِي كَيْسٍ
مَعَ بَقَايَا الثَّوْرِ ، وَجَرَّ الْكَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ الشَّجَرَاتِ نَحْوَ النَّهْرِ ، وَرَمَاهُ فِي
الْمَاءِ ، حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ قُتِلَ وَأَنَّ جِثَّتَهُ قَدْ جُرَتْ وَأُلْقِيَتْ فِي النَّهْرِ . وَسَارَ بِزَوَرَقِهِ فِي
مَجْرَى مَاءِ النَّهْرِ مُتَوَجِّهًا إِلَى جَزِيرَةِ جَاكْسُونِ .

أَدْنَسَى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي جَزِيرَةِ جَاكْسُونِ يَمْرَحُ وَيَلْهُو مُتَمَتِّعًا بِحُرِّيَّتِهِ . وَقَدْ
فُوجِيَ ، وَهُوَ يَمْشِي عَلَى غَيْرِ هُدًى قُرْبَ ضَفَةِ النَّهْرِ ، بِرُؤْيَةِ صَدِيقِهِ الْقَدِيمِ جِيمِ ،
الْعَبْدِ الزَّنْجِيِّ لَدَى الْإِنْسَةِ وَاتْسُونِ . أَمَّا جِيمٌ فَقَدْ صَاحَ مُرْتَعِدًا إِذْ ظَنَّ أَنَّهُ رَأَى
شَبَحًا ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَمِعَ بِالْأَخْبَارِ الَّتِي تَنَاقَلَهَا النَّاسُ حَوْلَ مَقْتَلِ هَاكَ وَغَرَقِهِ . قَامَ
هَاكَ بِتَهْدِئَةٍ رُوعِ جِيمٍ وَأَخْبَرَهُ بِالْحَقِيقَةِ . وَكَانَ جِيمٌ قَدْ هَرَبَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ أَنَّ الْإِنْسَةَ
وَاتْسُونِ تَنْوِي بَيْعَهُ ؛ لِذَلِكَ كَانَ يُعْتَبَرُ عَبْدًا فَارًّا . وَلَكِنَّ هَاكَ طَمَأنَهُ بِأَنَّهُ لَنْ يُخْبَرَ
أَحَدًا بِذَلِكَ .

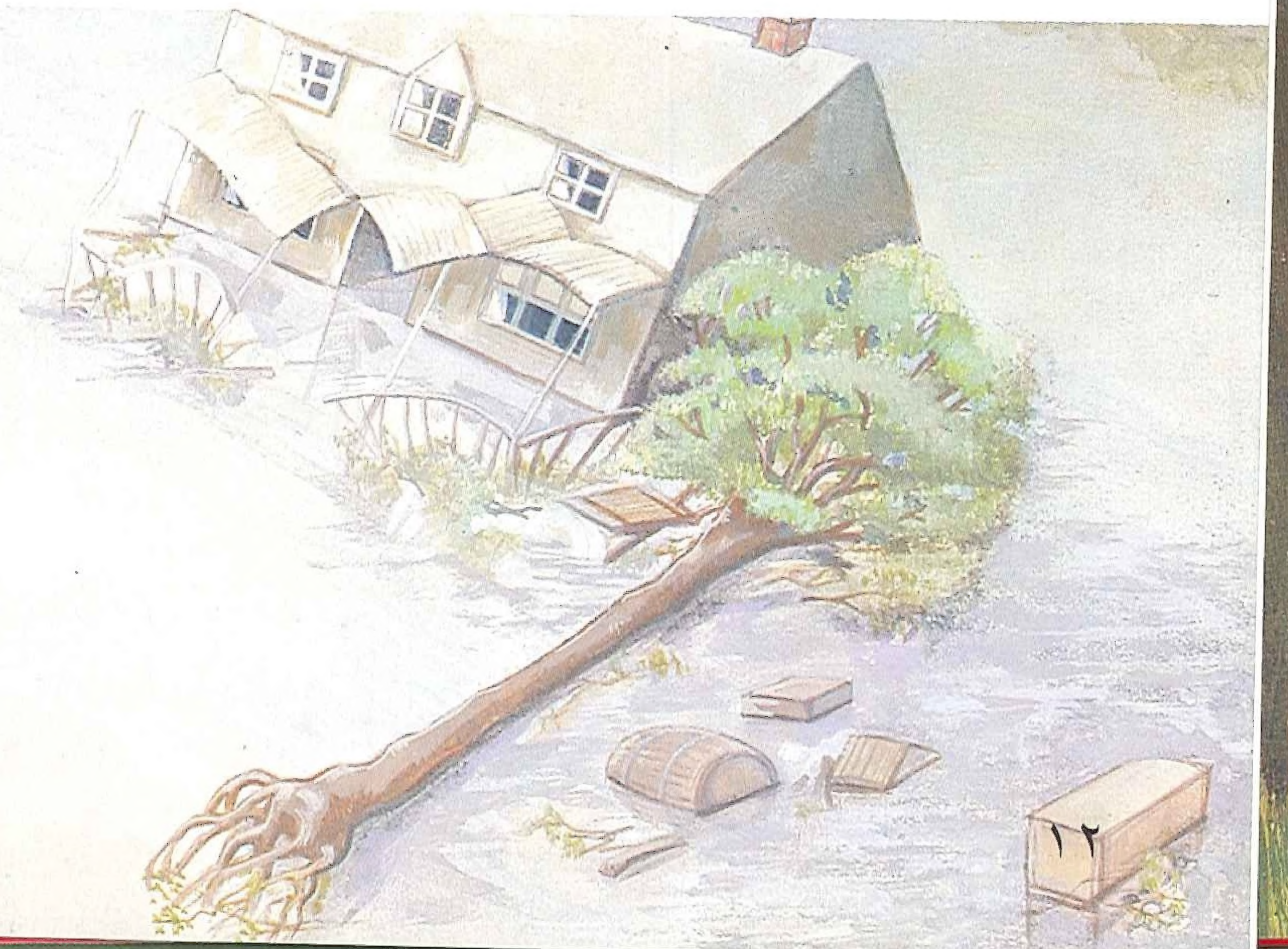
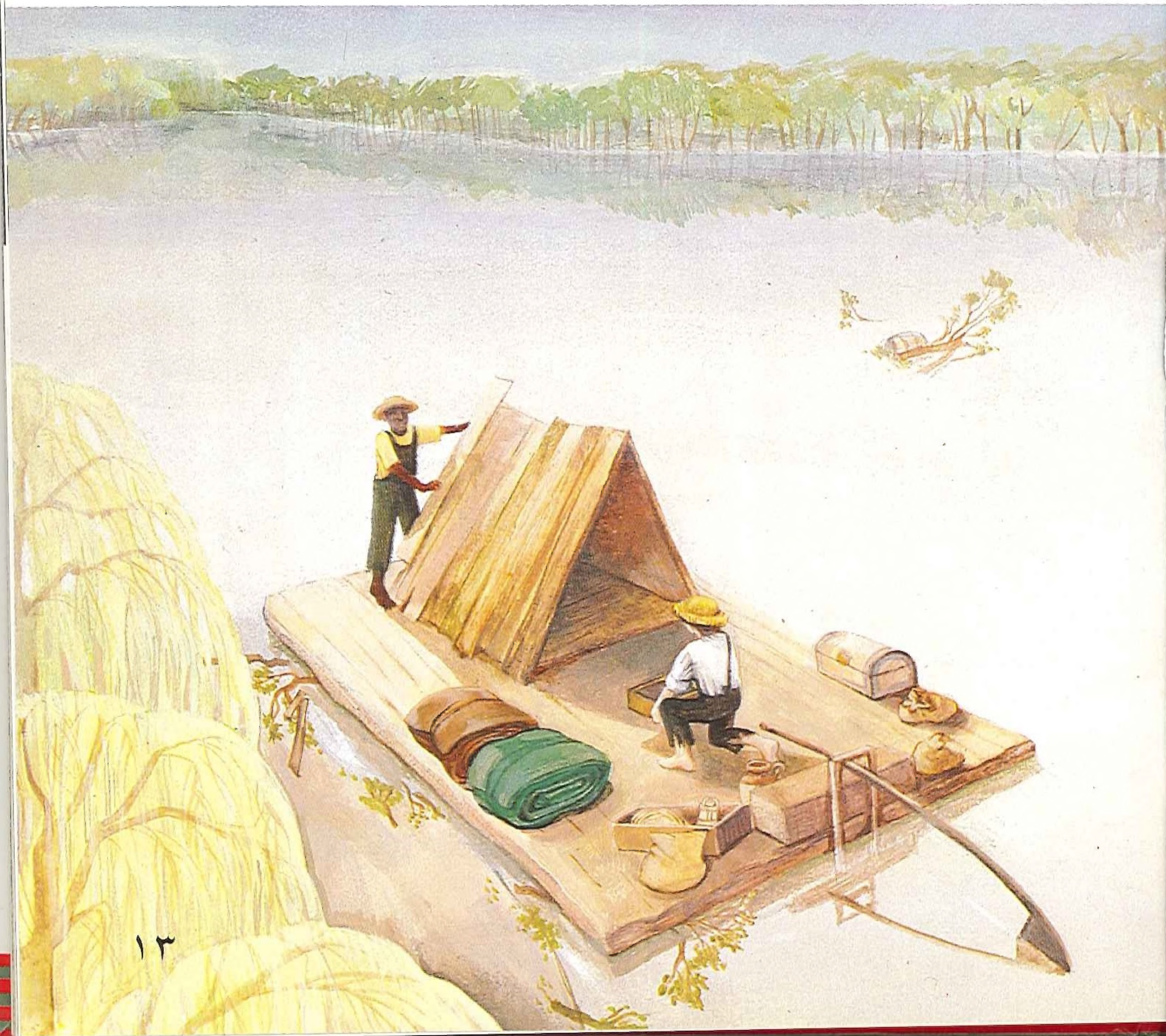


أَخَذَ هَاكَ وَجِيمُ يُرَاقِبَانِ النَّهْرَ الْعَارِمَ وَمَا يَجْرُفُهُ مَعَهُ مِنْ حُطَامٍ وَبَقَايَا ، وَقَدْ تَمَكَّنَا مِنَ الْحُصُولِ عَلَى عَوَامَةٍ كَبِيرَةٍ خَالِيَةٍ طَافِيَةٍ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ . وَكَذَلِكَ جَاءَ إِلَيْهِمَا ، مُتَهَادِيًا عَلَى مَاءِ النَّهْرِ ، مَتَرٌ خَشَبِيٌّ كَامِلٌ ، خَزَائِنُهُ مَلِيئَةٌ بِالثِّيَابِ وَمَطْبُخُهُ عَامِرٌ بِمَخْزُونٍ وَافِرٍ مِنَ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ ، وَوَجَدَا بِدَاخِلِهِ ثَمَانِيَةَ دُولَارَاتٍ فَضِيَّةٍ . نَقَلَا مُعْظَمَ مُمْتَوِيَاتِ الْمَتَرِ إِلَى الْعَوَامَةِ ، وَاسْتَعَدَّا لِلانْطِلَاقِ .

انْسَاقَتْ عَوَامَتُهُمَا ، فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، جَارِيَةً مَعَ مَاءِ النَّهْرِ مَسَافَةً خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ كِيلُومِتْرًا ، ثُمَّ تَوَقَّفَا عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ الْمِسُورِيِّ قُرْبَ أَشْجَارِ الْحَوْرِ . وَقَدْ قَامَ جِيمُ بِنَصْبِ خِيْمَةٍ مِنَ الطَّرَازِ الْهِنْدِيِّ عَلَى مَتْنِ الْعَوَامَةِ لِيَأْوِيَا إِلَى النَّوْمِ بِدَاخِلِهَا . ثُمَّ أَمْضَا الْأَيَّامَ التَّالِيَةَ يَخْتَبِئَانِ نَهَارًا فِي الْجُدَاوِلِ الْفَرَعِيَّةِ الْكَثِيفَةِ الْأَشْجَارِ ، وَيَنْطَلِقَانِ بِالْعَوَامَةِ لَيْلًا تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ وَهُمَا يَقْضِيَانِ الْوَقْتَ فِي النَّوْمِ أَوْ التَّحَدُّثِ وَتَأْمُلِ

النُّجُومِ أَوْ اصْطِيَادِ السَّمَكِ . وَقَدْ شَغَلَا نَفْسَيْهِمَا ، لِبَعْضِ الْوَقْتِ ، فِي تَرْتِيبِ مَا حَصَلَا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَتَرِ الطَّافِي ، فَفَرَزَا الثِّيَابَ الْمُخْتَلِفَةَ وَالْأَحْذِيَّةَ وَالْقُبْعَاتِ وَالْبَطَانِيَّاتِ وَأَنْوَاعَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَفَائِفَ السِّكَارِ . وَقَدْ أَصَابَ جِيمَ الذُّهُولُ مُعْتَبِرًا أَنَّ مَنْ يَمْلِكُ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَعِيشُ حَيَاةَ بَذْخٍ وَتَرْفٍ .

بَعْدَ بَضْعِ لَيَالٍ ، مَرَّ قُرْبَ مَدِينَةِ سَانْتِ لُويس ، فَبُهِرَا بِأَنْوَارِهَا السَّاطِعَةِ ، وَلَكِنَّهُمَا قَرَّرَا عَدَمَ التَّوَقُّفِ وَإِكْمَالَ الرِّحْلَةِ مَسَافَةً مِثْلَيْنِ وَأَرْبَعِينَ كِيلُومِتْرًا إِلَى حَيْثُ يَلْتَقِي نَهْرَا أُوهايو وَالْمِيسُورِيِّ ، عَلَى أَنَّ يَبِيعَا هُنَاكَ الْعَوَامَةَ وَكُلَّ مُمْتَلَكَاتِهِمَا ، وَيَسْتَقِيلَا





الخيمة، سوى والده العجوز العليل الذي يعاني من مرض الجدري. لذلك قرّر
الرجلان عدم تفتيش العوامة، وأشفقاً على هاك ووالده المسكين فنقدها أربعين
دولاراً لمساعدته في محتته.

في ذلك المساء، ابتلي جيم وهاك بمصيبة، إذ اضطدّمت بعوامتهما فجأة،
سفينة بخارية كبيرة. فأخذ كل منهما سعيًا للخلاص من الغرق. ولكنهما،
لهول المفاجأة وشدة الظلام، أضاع واحدهما أثر الآخر. وعندما وصل هاك إلى
اليابسة قرّر البحث عن جيم، وسرعان ما وصل قرب منزل كبير قديم الطراز.
ما إن اقترب هاك من المنزل حتى سمع صوت امرأة تصيح: «من هناك؟»

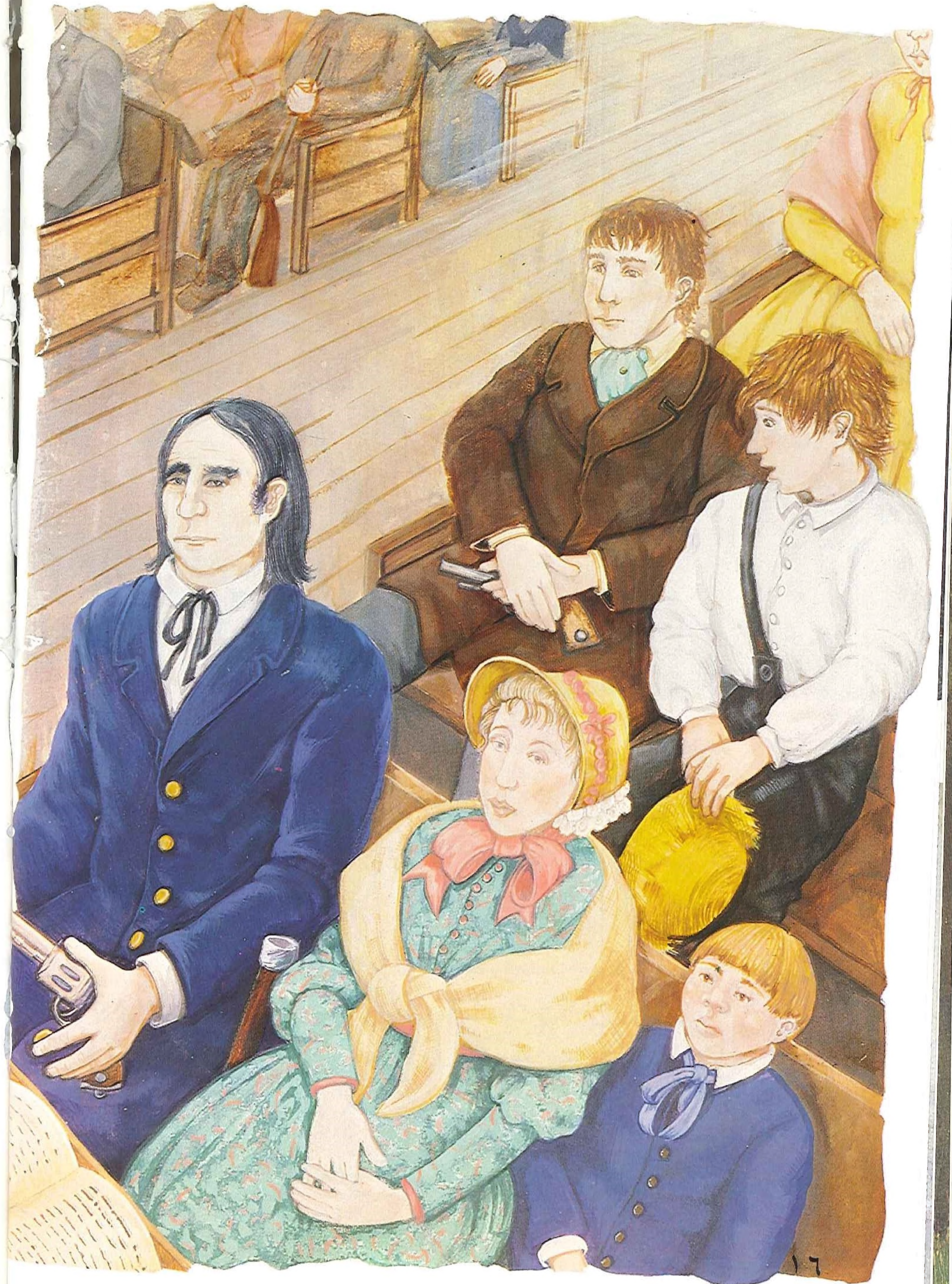
سفينة بخارية - عبر نهر أوهايو - إلى ولايات كنتاكي وإنديانا وأوهايو، حيث
يكون جيم حراً ولا خطر من اعتقاله. كان جيم يتطلع بشوق إلى الحصول على
حرّيته في تلك الولايات التي أبطلت العمل بنظام الرقيق، وعاهد نفسه على العمل
بكد ليحني بعض المال لشراء حرّية زوجته وأولاده.

كان جيم داخل الخيمة، وقد قرّر هاك التوجّه نحو ضفة النهر للتوقّف قليلاً
للراحة. ولكنه، قبل وصوله إلى الضفة، رأى رجلين مسلّحين في زورق، يقتربان
منه ويحيّياه. أخبراه أنّهما يتحان عن بعض العبيد الفارين، وسألاه إذا كان معه
أحد على ظهر العوامة. فكّر هاك بسرعة، وأخبرهما أن ليس معه، داخل

كَانَ هَاكَ حَاضِرَ الذَّهْنِ ، فَأَجَابَ : «أَنَا جُورْجُ جَاكْسُونِ .»
 - قُلْ لِي يَا جُورْجُ جَاكْسُونِ ، هَلْ تَعْرِفُ آلَ شِيبِرْدُسُونِ ؟
 - كَلَّا ، لَمْ أَسْمَعْ بِهِمْ مِنْ قَبْلُ .
 - إِذَا ، تَقَدَّمَ وَيَدَاكَ مَرْفُوعَتَانِ .

عِنْدَمَا فَعَلَ هَاكَ مَا أُمِرَ بِهِ رَأَى أَنَّ هُنَاكَ أَيْضًا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ يُصَوِّبُونَ الْبِنَادِقَ نَحْوَهُ . وَقَالَ أَحَدُهُمْ : «وَاضِحٌ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَائِلَةِ شِيبِرْدُسُونِ .» ثُمَّ أَمَرَتِ السَّيِّدَةُ فَتًى يُدْعَى بَكَّ بِإِحْضَارِ ثِيَابٍ جَافَّةٍ لِلضَّيْفِ ، وَقَدَّمَتْ لَهُ وَجَبَةً طَعَامٍ شَهِيَّةً . أَخَذُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ عَائِلَتِهِ وَمَكَانِ قُدُومِهِ . وَقَدْ تَذَكَّرَ هَاكَ كَيْفَ كَانَ صَدِيقُهُ توم سُوِيرِ يَتَصَرَّفُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ ، فَاخْتَلَقَ قِصَصًا لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصَّحَّةِ .

كَانَ رَبُّ الْعَائِلَةِ يُدْعَى الْكُولُونِيلُ غِرَانْغُفُورْدُ ، وَهُوَ رَجُلٌ جَلِيلٌ بِهِيُ الطَّلَعَةِ صَاحِبُ شَخْصِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ . أَمَّا ابْنُهُ بَكٌّ فَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ وَلَهُ شَقِيقَانِ يَكْبُرَانِهِ سِنًا هُمَا بوب وتوم ، وشقيقتان : شَرْلُوت وهِي . فِي الْخَامِسَةِ وَالْعَشْرِينَ ، وَصُوفِيَا الَّتِي تَصْغُرُهَا قَلِيلًا . كَانَ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ عَبْدٌ زَنْجِيٌّ خَاصٌّ بِهِ يَقِفُ عَلَى خِدْمَتِهِ . وَيُظْهَرُ أَنَّ عِدَاوَةً مَرِيرَةً كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ آلَ شِيبِرْدُسُونِ . كَانَ بَكٌّ وَهَاكَ يَوْمًا فِي الْغَابَةِ فَفُوجِئَا بِمُرُورِ فَتًى مِنْ عَائِلَةِ شِيبِرْدُسُونِ يَمُرُّ مُمْتَطِيًا صَهْوَةً جَوَادِهِ . لَمْ يُصَدِّقْ هَاكَ عَيْنُهُ عِنْدَمَا رَأَى بَكَّ يَرْفَعُ بُنْدُقِيَّتَهُ وَيُطْلِقُ النَّارَ عَمْدًا بِاتِّجَاهِ الْفَتَى ، عَازِيًا ذَلِكَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ إِلَى وُجُودِ الْعِدَاءِ الْقَدِيمِ بَيْنَ الْعَائِلَتَيْنِ . وَأَضَافَ أَنَّ هَذَا الْعِدَاءَ يَحْصُدُ كُلَّ سَنَةٍ قَتِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مِنْ أَفْرَادِ الْعَائِلَتَيْنِ . وَالْأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ ، حَدَثَ يَوْمَ الْأَحَدِ فِي الْكَنِيسَةِ عِنْدَمَا رَأَى هَاكَ أَفْرَادَ الْعَائِلَتَيْنِ يَجْلِسُونَ بِخُشُوعٍ مُتَقَارِبِينَ ، وَقَدْ وَضَعَ رَبُّ كُلِّ عَائِلَةٍ يَدَهُ عَلَى مُسَدَّسِهِ الْمَوْضُوعِ فِي حِضْنِهِ . وَبَدَأَ أَنَّهُمْ - جَمِيعًا - صَلَّوْا بِخُشُوعٍ وَاسْتَحْسَنُوا كَلَامَ الْكَاهِنِ فِي عِظَّتِهِ حَوْلَ الْفَضِيلَةِ وَحُبِّ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ وَالتَّسَامُحِ !





أَمِينٌ . هَتَفَا بِحَرَارَةٍ وَغَمَرَتْهُمَا الْفَرَحَةُ لِاجْتِمَاعِهِمَا مُجَدِّدًا ، وَانْطَلَقَا مُتَمَتِّعِينَ بِالْحَرِيرَةِ
وَالسَّكِينَةِ اللَّتَيْنِ وَفَرَّهُمَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ .

جَرَتْ عَوَامَتُهُمَا بِرَفْقٍ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ الْمَهِيبةِ مِنَ النَّهْرِ ، حَيْثُ
يَبْلُغُ عَرْضُهُ حَوَالَى كِيلُومَتْرَيْنِ . وَأَخَذَا - كَمَا فِي السَّابِقِ - يُسَافِرَانِ لَيْلًا تَحْتَ جُنْحِ
الظَّلَامِ ، وَيَقْضِيَانِ مُعْظَمَ اللَّيْلِ فِي صَيْدِ السَّمَكِ أَوْ الرَّاحَةِ أَوْ مُرَاقَبَةِ النُّجُومِ
وَتَجَاذِبِ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ . أَمَّا أَجْمَلُ الْمَشَاهِدِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا فَكَانَتْ عِنْدَ مُرُورِ
إِحْدَى السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ الضَّخْمَةِ ، وَكَانَ يَبْهَرُهُمَا دَوْلَابُ الدَّفْعِ الْكَبِيرُ فِي مُؤَخَّرَتِهَا
وَأَنْوَارُهَا الْمُشِعَّةُ وَالشَّرَرُ الْمُتَطَايِرُ مِنْ مِدْخَلَتِهَا .

حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ أَثَارَ الرُّعْبَ فِي نَفْسِ هَاكِ ، فَقَدْ اكْتُشِفَ أَنَّ الْآنِسَةَ
صُوفِيَا قَدْ هَرَبَتْ مَعَ أَحَدِ أَبْنَاءِ شِيرْدَسُونِ . فَانْطَلَقَ أَفْرَادُ عَائِلَةٍ غَرَانِغُفُورْدَ فَوْرًا
لِمُلاحَقَتِهِمَا . كَانَ هَاكِ فِي الْغَابَةِ مُحْتَبِنًا بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، فَسَمِعَ أَصْوَاتَ عِيَارَاتِ
نَارِيَّةٍ ، ثُمَّ شَاهَدَ بَكَ وَشَخْصًا آخَرَ يُحَاوِلَانِ أَنْ يَسْبَحَا عَبْرَ النَّهْرِ هَرَبًا مِنْ
مُطَارِدَيْهِمَا ، وَلَكِنَّ النَّارَ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِمَا وَقُتِلَا فَوْرًا . أَحَسَّ هَاكِ بِالِاشْمِئَزَازِ مِنْ هَذِهِ
الْوَحْشِيَّةِ الْعَمِيَاءِ الَّتِي تَتَحَكَّمُ بِالْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْعَائِلَتَيْنِ فَقَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ بَعِيدًا عَنْ هَذَا
الْجَوِّ الْبَغِيضِ .

كَانَ هَاكِ مَحْظُوظًا إِذِ التَّقَى بِصَدِيقِهِ جِيمِ الَّذِي كَانَ قَدْ خَبَأَ الْعَوَامَةَ فِي مَكَانٍ

في صباح أحد الأيام ترك هاك العوامة، وذهب في زورق صغير نحو الشاطئ، بحثاً عن ثمار التوت البري. رأى رجلين يركضان نحو ضفة النهر ويرجوانه إنقاذ حياتهما. كان أحدهما عجوزاً جاوز السبعين، أصلع، ذا لحية بيضاء مستفيضة على جانبي وجهه، يرتدي قميصاً رثاً وسروالاً قديراً. أما الثاني فكان في الثلاثين من عمره. وقد طاردهما جمع من أبناء البلدة الغاضبين متهمين الرجلين بخداعهم وسلبهم المال. وافق هاك على مساعدة الرجلين، واقترح انضمامهما إليه وإلى صديقه. كان الرجلان حاذقين ومتعددي المواهب. فالشاب عامل طباعة، وموزع أدوية، ومعلم، وموثم مغنطيسي، وممثل مسرحي بارع. أما رفيقه فطبيب مشعور، وواعظ ومبشر ديني وعراف.

توجه الرجل الشاب إلى هاك وصديقه المندهل جيم بقصة غريبة، قائلاً: «لقد دارت بي الأيام. إنني، بالحقيقة، من طبقة النبلاء وأحمل لقب دوق». برزت عينا هاك استغراباً وهتف سائلاً: «دوق؟» فأجاب الرجل بكل رصانة: «أجل، أجل. فأنا - قانوناً - دوق بريدجووتر في إنكلترا».

- أنت دوق بريدجووتر بنفسه!؟

- بالطبع. وعليك أن تُناديني بكلمة (سيدي) أو (صاحب السعادة). وعليك أن تحترمني وتقف على رعايتي وتخدمني.

اعتقد جيم أن مرافقة مثل هذا الرجل النبيل شيء عظيم. ثم انبرى الرجل العجوز ليقدّم أوراق اعتمادِهِ، فقال: «اسمع يا بريدجووتر. لست الوحيد هنا الذي فقد مركزه ولقبه. فأنا أيضاً لدي سر. إنني لويس السابع عشر ابن ملك فرنسا. إن حالة البؤس الحالية والثياب الوضيعة لا تمحو الحقيقة، وهي أنكم تقفون في حضرة الوريث الشرعي لعرش فرنسا. ومما يخفف مصيبي أن ننحنا أمامي وتخطبوني بعبارة: صاحب الجلالة».



وهكذا وجد هاك وجيم نفسيهما في خدمة هذين الرجلين : ينحنيان أمامهما ،
ويناديان الدوق « سيدي » أو « يا صاحب السعادة » ، والرجل الآخر « صاحب
الجلالة » . كان هاك يعلم أن هذين الرجلين الطارين محتلان مخادعان ، ولكنه
أراد أن يجاريهما حباً بالتسلية . أما جيم المسكين فكان مصدقاً كل ما قالاه .

انطلقوا جميعاً في النهر عند الغسق ، وقد حدثت عاصفة قوية ، انهمرت خلالها
الأمطار غزيرة ، مصحوبة بالبرق والرعد . وسرعان ما احتل الدوق والملك
الخيمة ، فاحتما بداخلها من البرد والمطر لأن رتبتهما توھلهما لذلك ! أما هاك
وجيم فقد كانا من طبقة العامة ، ولذلك ناما على العوامة في العراء . بعد انبلاج
الفجر اتجهوا إلى خليج صغير للاختباء . وتناولوا هناك الفطور ، وبدأوا يتداولون في
خُطط العمل . أخرج الدوق من خُرجه مجموعة كبيرة من الإعلانات المكتوبة
بخط اليد : أعلن عنه في أحدها أنه الدكتور الفرنسي الشهير أرمان دو مونتلبان ،
وأنه سيلقي محاضرة حول فِراسَة الدماغ لقاء رسم حضور مقداره عشرة سنتات .

وجاء في إعلان آخر أنه الممثل المسرحي الشكسبير العظيم غاريك الأصغر من
أشهر مسارح لندن . وأشاد ثالث ببراعته في التنبؤ - بواسطة العصا - بإمكانه وجود
الماء والذهب ، وبِعَظَمَتِهِ في التحصين ضد الرقي والتعاويد .

مال الدوق نحو رفيقه وسأله : « يا صاحب الجلالة ، هل اعتلّتم خشبة
المسرح سابقاً ؟ »

فأجاب الملك : « كلا » .

- إذا لقد آن الأوان ، يا صاحب الجلالة . عندما نصل إلى أول بلدة ، سوف
نستأجر قاعة ونعرض مشهد المبارزة بالسيف في مسرحية « ريتشارد الثالث » ومشهد
الشرقة في « روميو وجوليت » ، فما رأيكم ؟ »

أجاب الملك متحمساً : « إننا نمنحك موافقتنا .. يمكنك الاعتماد عليّ حين
يتعلق الأمر بربح بعض المال » .



إِنَّهُمْكَ الدَّوْقُ قَبْلَ الظُّهْرِ فِي إِعْدَادِ بَعْضِ الْمَلَابِسِ الْخَاصَّةِ بِالْمَسْرَحِ وَتَدْرِيبِ الْمَلِكِ عَلَى دَوْرِهِ. وَبَعْدَ الْغَدَاءِ، قَرَّرَ الدَّوْقُ وَالْمَلِكُ وَهَاكَ التَّوَجُّهُ لِاسْتِطْلَاعِ الْبَلَدَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ النَّهْرِ. وَلَدَى وُصُولِهِمُ الْبَلَدَةَ عَلِمُوا أَنَّ أَهْلَهَا جَمِيعًا يَعْقِدُونَ اجْتِمَاعًا. وَفِيمَا هُمْ يَسِيرُونَ مَرَّوا بِمَطْبَعَةٍ، فَدَخَلَهَا الدَّوْقُ عَلَى أَنْ يُوافِي رَفِيقَهُ لَاحِقًا.

وَصَلَ الْمَلِكُ وَهَاكَ إِلَى مَكَانٍ فَسِيحٍ تُظِلُّهُ خَيْمَةٌ كَبِيرَةٌ، احْتَشَدَتْ تَحْتَهَا حَوَالَى أَلْفٍ شَخْصٍ. كَانَتْ تُحِيطُ بِالْخَيْمَةِ جِيَادٌ وَعَرَبَاتٌ مُتَوَقِّفَةٌ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، مِمَّا جَعَلَ الْمَكَانَ يَبْدُو وَكَأَنَّهُ مَهْرَجَانٌ، وَبِخَاصَّةٍ مَعَ وُجُودِ بَائِعِي اللَّيْمُونَاظَةِ وَالْبَطِيخِ وَالذُّرَّةِ وَالْكَعْكَ وَالْحَلْوَى. كَانَ، عَلَى مَنْصَةِ عَالِيَةٍ تَحْتَ الْخَيْمَةِ، مُبَشِّرٌ طَلَّقَ اللِّسَانَ، يَعِظُ النَّاسَ الَّذِينَ تَحَلَّقُوا حَوْلَهُ مَأْخُودِينَ بِكَلَامِهِ. وَجَدَ الْمَلِكُ أَنَّ هَذِهِ فُرْصَةٌ لَا تُعَوِّضُ، فَاعْتَلَى الْمَنْصَةَ، بِكُلِّ جُرْأَةٍ وَثِقَةٍ، وَاسْتَأْذَنَ الْمُبَشِّرَ لِيُضِيفَ شَهَادَتَهُ الشَّخْصِيَّةَ تَأْيِيدًا لِمَا كَانَ يَحُضُّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى. وَبَعْدَ أَنْ سَادَ الْجَمْعُ الصَّمْتُ، شَرَعَ يُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ كَانَ قُرْصَانًا شَرِيرًا يَسْلُبُ السُّفُنَ فِي الْمُحِيطِ الْهِنْدِيِّ، عَلَى مَدَى ثَلَاثِينَ عَامًا. وَأَضَافَ: «أَمْسَ بِالذَّاتِ سُرِقَتْ كُلُّ أَمْوَالِي، وَأَفْقَتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَيْقَنْتُ أَنَّ كُلَّ أَعْمَالِي السَّابِقَةِ كَانَتْ ضَلَالًا. إِنِّي الْآنَ سَعِيدٌ جَدًّا لِأَنِّي اهْتَدَيْتُ إِلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ. وَسَيَكُونُ هَدْفِي الْأَوْحَدُ فِي حَيَاتِي إِرْشَادَ غَيْرِي مِنَ الضَّالِّينَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ.» ثُمَّ بَدَأَ يَبْكِي قَائِلًا: «إِنَّهَا دُمُوعُ الْفَرَحِ!» وَقَدْ تَأَثَّرَ النَّاسُ بِحَدِيثِهِ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ بَكَى مَعَهُ.

وَصَاحَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ: «لِنُسَاعِدَهُ. فَلْنَجْمَعْ لَهُ بَعْضَ الْمَالِ. خُذْ قُبْعَكَ وَدُرْ بِهَا عَلَيْنَا.» فَمَا كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ حَمَلَ قُبْعَهُ بِيَدِهِ وَرَاحَ يَطُوفُ بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ وَيُوزِّعُ عِبَارَاتِ الشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ هُنَا وَهُنَاكَ. وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمَوْجُودِينَ بِرَجَاءِ الْبَقَاءِ فِي بَلَدَتِهِمْ، وَعَرَضُوا إِضَافَتَهُ فِي مَنَازِلِهِمْ. وَلَكِنَّ الْمَلِكَ اعْتَذَرَ مِنْهُمْ مُعَلِّلًا ذَلِكَ بِوَاجِبِ الذَّهَابِ إِلَى الْمُحِيطِ لِيُبَشِّرَ الْقَرَّاصِينَ الْخَطَاةَ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ الَّذِي اهْتَدَى إِلَيْهِ.



وَجَدَ الْمَلِكُ ، لَدَى عَوْدَتِهِ إِلَى الْعَوَامَةِ ، أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ سَبْعَةَ وَثَمَانِينَ دُولَارًا ،
بِالإِضَافَةِ إِلَى حُصُولِهِ عَلَى بَعْضِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ لَمْ يَكُنْ مَا
حَقَّقَهُ الدَّوْقُ بِالشَّيْءِ الْمَيَّسِرِ ، فَلَقَدْ طَبَعَ بَعْضَ الْإِعْلَانَاتِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ صَحِيفَتِهِ ،
وَنَجَحَ فِي جَمْعِ عَشْرَةِ دُولَارَاتٍ كَرُسُومٍ مُسَبِّقَةٍ لِإِعْلَانَاتٍ فِي صَحِيفَتِهِ الْمَرْعُومَةِ .
وَطَبَعَ إِعْلَانًا آخَرَ بِالخَطِّ الْعَرِضِ عَنْ وُجُودِ مُكَافَأَةٍ مَالِيَّةٍ ، مِقْدَارُهَا مِثْنَا دُولَارٍ ،
لِمَنْ يَقْبِضُ عَلَى « أَحَدِ الْعَبِيدِ الْفَارِسِيِّينَ » ، وَجَاءَتْ أَوْصَافُهُ مُطَابِقَةً تَمَامًا لِجِيمِ . وَكَانَ



هَدَفُهُ مِنْ ذَلِكَ لَصَقَ هَذَا الْإِعْلَانِ عَلَى الْعَوَامَةِ مَعَ رَبْطِ جِيمٍ عَلَى مَتْنِهَا ، لِلتَّمَكُّنِ
مِنَ السَّفَرِ نَهَارًا ، وَالْإِدْعَاءِ ، أَمَامَ أَيِّ سَائِلٍ ، أَنَّهُمْ قَدْ قَبَضُوا عَلَى الْعَبْدِ الْفَارِسِيِّ وَهُمْ
فِي طَرِيقِهِمْ لِتَسْلِيمِهِ وَقَبْضِ الْمُكَافَأَةِ . فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ غَادَرُوا تِلْكَ الْبَلَدَةَ بَعْدَ أَنْ
اسْتَغْلَوْا أَهْلَهَا وَسَلَبُواهُمْ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لَا بَأْسَ بِهِ .

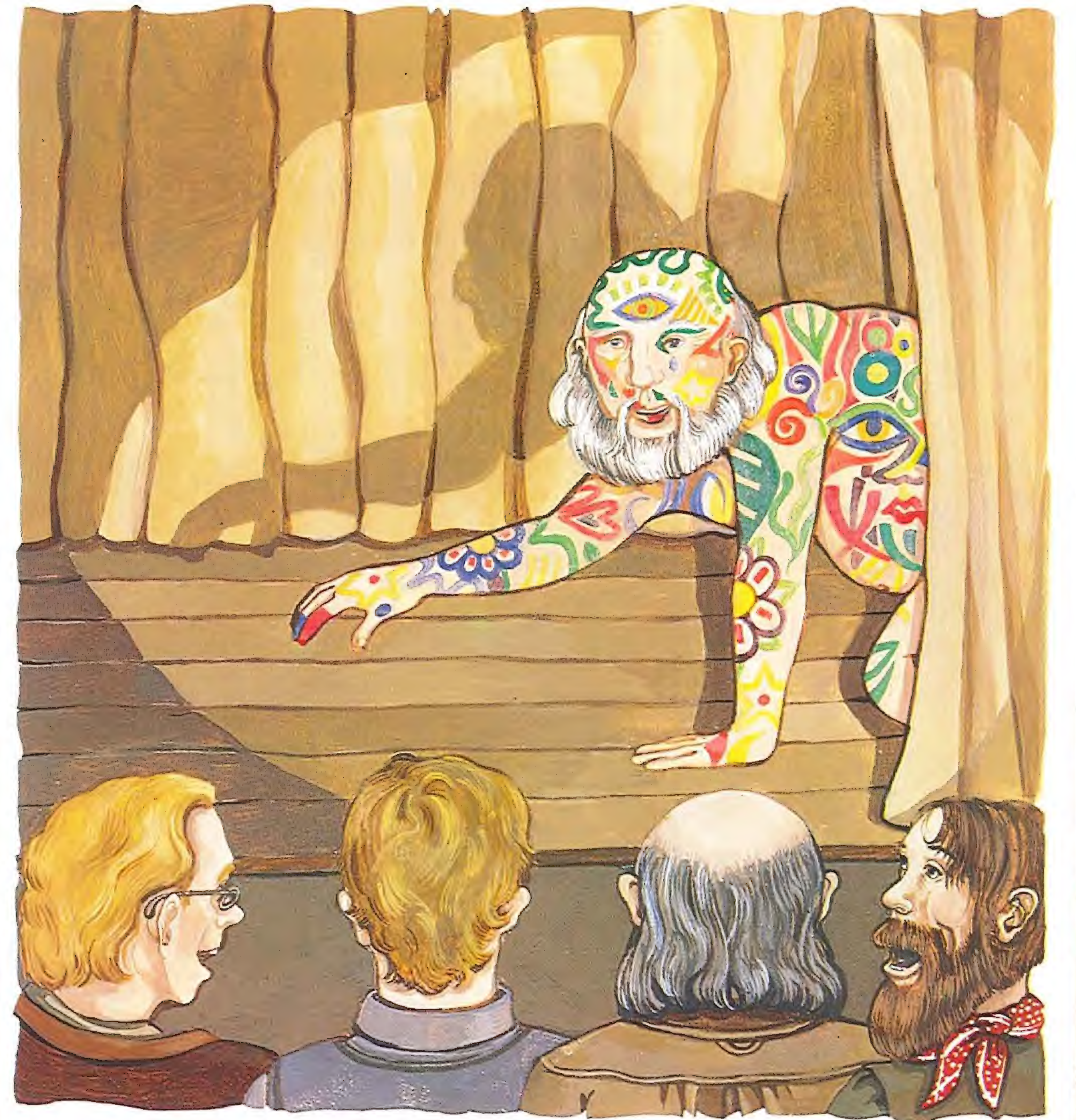
مَرَّ الْيَوْمُ الثَّانِي بِكَامِلِهِ وَهُمْ عَلَى ظَهْرِ الْعَوَامَةِ الْجَارِيَةِ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ ، وَقَدْ
أَمْضَوْا وَقْتَهُمْ فِي السَّبَاحَةِ أَوْ الْأَكْلِ أَوْ النَّوْمِ . كَذَلِكَ قَامُوا بِتَمَارِينٍ عَلَى مَشْهَدِ
الْمُبَارَزَةِ فِي مَسْرَحِيَّةِ « رَيْتشارْد الثَّالِثِ » . وَقَدْ وَقَعَ الْمَلِكُ خِلَالَ ذَلِكَ فِي الْمَاءِ ،
وَلَكِنَّهُمْ انْتَشَلُوهُ إِلَى ظَهْرِ الْعَوَامَةِ بِسُرْعَةٍ . ثُمَّ أَجْرَوْا تَمْرِينًا لِمَشْهَدِ الشُّرْفَةِ فِي « رُومِيُو
وَجُولِيَّت » . بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الدَّوْقُ يُكَرِّرُ « مُنَاجَاةَ » هَمَلْتِ الَّتِي يَحْفَظُهَا كَامِلَةً وَلَكِنْ
عَلَى طَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ .



المُمَثِّلِينَ» فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِالذَّاتِ.

أَمَّا هَاكَ فَقَدْ تَوَجَّهَ فَوْرًا إِلَى الْخِيَمَةِ الْكُبْرَى حَيْثُ شَاهَدَ عَرْضَ السَّيْرِكِ. وَقَدْ فُتِنَ بِمَا رَأَاهُ مِنَ الْأَعَابِ قُوَّةٍ وَفُرُوسِيَّةٍ نَادِرَةٍ وَحَرَكَاتٍ خِفَّةٍ وَأَعْمَالٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ بَارِعَةٍ، إِلَى جَانِبِ الرَّقْصِ وَالْمُوسِيقَى. وَأَهَمُّ مِنْ كُلِّ هَذَا، بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ، عُرُوضُ الْمُهَرَّجِينَ، الَّتِي جَعَلَتِ الْحَاضِرِينَ يَبْتَهِجُونَ وَيَضْحَكُونَ مَلِيًّا. وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ حَفْلَةُ السَّيْرِكِ عَصْرًا، عَادَ هَاكَ وَوَجَدَ أَنَّ الدُّوقَ وَالْمَلِكَ يَتَهَيَّأَنِ لِإِقَامَةِ الْعَرْضِ الْمَسْرُوحِيِّ فِي الْمَسَاءِ. صُعِقَ الدُّوقُ عِنْدَمَا رَأَى أَنَّ الْجُمْهُورَ لَمْ يَزِدْ عَنِ اثْنَيْ عَشَرَ شَخْصًا، وَأَصِيبَ بِخَيِّبَةٍ أَمَلٍ لِأَنَّ مَا دَفَعُوهُ لَا يُغْطِي مَصَارِفَهُ. وَقَدْ وَصَفَ، فِي فَوْرَةٍ غَضَبِهِ، أَهْلَ تِلْكَ الْبَلَدَةِ بِأَنَّهُمْ جَهْلَةٌ وَأَغْيَاءُ، لَا يَتَذَوَّقُونَ مَسْرَحِيَّاتِ شَكْسِيرٍ، وَلَكِنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقَةً أَفْضَلَ تَجَذِّبُهُمْ إِلَى الْمَسْرَحِ. وَانْكَبَّ عَلَى كِتَابَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُلَصَّقَاتِ، بِخَطِّ يَدِهِ، تُعْلِنُ عَنْ تَقْدِيمِ عَرْضٍ مَسْرُوحِيٍّ جَدِيدٍ، لِمُدَّةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةٍ، بِعُنْوَانٍ: «زَرَاقَةُ الْمَلِكِ» أَوْ «الْعَرْضُ الْمَلِكِيَّ الْجَرِيءُ». ثُمَّ كَتَبَ فِي أَسْفَلِ كُلِّ إِعْلَانٍ بِحُرُوفٍ كَبِيرَةٍ: «مُلَاحَظَةٌ: يُمنَعُ دُخُولُ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ». وَلَدَى انْتِهَائِهِ مِنْ عَمَلِهِ تَمَتَّمَ قَائِلًا: «سَتَمْتَلِئُ بِهِمِ الْقَاعَةُ غَدًا!»

قَضَى الدُّوقُ وَالْمَلِكُ سَحَابَةَ الْيَوْمِ التَّالِيِ يُعِدَّانِ الْمَسْرَحَ لِلْعَرْضِ الْكَبِيرِ. وَعِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ كَانَتِ الْقَاعَةُ تَغْصُّ بِالْمُشَاهِدِينَ. نُفِخَتِ الْأَبْوَابُ، فَارْتَفَعَتِ السَّتَارَةُ عَنْ خَشَبَةِ فَارِغَةٍ أَمَامَ جُمْهُورٍ مِنَ الْفُضُولِيِّينَ الْمُتَشَوِّقِينَ. ثُمَّ حَانَتِ اللَّحْظَةُ الْمَوْعُودَةُ، فَظَهَرَ الْمَلِكُ عَلَى الْخَشَبَةِ، وَأَخَذَ يَتَبَخَّرُ بِنَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ، وَهُوَ عَارٍ تَمَامًا، وَقَدْ لَطَّخَ جَسَدَهُ بِكُلِّ أَلْوَانِ قَوْسِ قُرْحٍ. فَانْفَجَرَ الْحُضُورُ مُتَهَيِّجِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَتِ السَّتَارَةُ بِهَدْوٍ، وَوَقَفَ الدُّوقُ أَمَامَهَا، وَخَاطَبَ النَّظَّارَةَ طَالِبًا مِنْهُمْ تَشْجِيعَ جِيرَانِهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ عَلَى حُضُورِ هَذَا الْعَرْضِ الْفَرِيدِ فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ! فَصُعِقَ الْحَاضِرُونَ عِنْدَئِذٍ وَأَصِيبُوا بِالذُّهُولِ.



وَصَلُّوا، بَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ، إِلَى بَلَدَةٍ صَغِيرَةٍ فِي وِلَايَةِ أَرْكَنْسُو، حَيْثُ وَجَدُوا أَنَّ سِيرَكًا جَوَّالًا قَدْ حَطَّ رِحَالَهُ فِي الْبَلَدَةِ. وَقَدْ اعْتَبَرُوا أَنَّ جَوَّ الْمَرْحِ الَّذِي يُشِيعُهُ السَّيْرِكُ مُؤَاتٍ لَهُمْ أَيْضًا، فَأَخَذَ الدُّوقُ إِعْلَانَاتِهِ الْمَسْرُوحِيَّةَ وَالصَّقَهَا فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْبَلَدَةِ، وَهِيَ تَدْعُو النَّاسَ لِحُضُورِ «أَهَمِّ الْمَشَاهِدِ الْمَسْرُوحِيَّةِ الَّتِي يُحْيِيهَا أَشْهُرُ



وَهُمْ يُخْفُونَ هَوْلَ الْمُفَاجَأَةِ وَيَكْتُمُونَ الْغَيْظَ . فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ كَانَ الْإِقْبَالُ أَكْبَرَ ،
وَقَدْ لَاحَظَ هَاكَ أَنَّ جُيُوبَ الرِّجَالِ مُتَفِيحَةً ، وَاشْتَمَّ فِي الْجَوِّ رَوَائِحَ يَبِضُ فَاسِدٍ
وَفَاكِهَةٍ عَفِنَةٍ وَقَطَطٍ مَيْتَةٍ .

بَعْدَ أَنْ أَخَذَ الدُّوقُ مَا جَمَعَهُ مِنْ مَالٍ لِقَاءِ تَذَاكِرِ الدُّخُولِ ، انْسَلَّ هُوَ وَهَآكَ مِنَ
الْبَابِ الْخَلْفِيِّ وَالتَّقْيَا بِالْمَلِكِ ، وَذَهَبُوا إِلَى مَكَانٍ إِخْفَاءِ الْعَوَامَةِ ، وَانْدَفَعُوا بِهَا نَحْوَ
الْمَجْرَى الرَّئِيسِيِّ لِلنَّهْرِ ، مِنْ دُونِ أَنْ يُشْعِلُوا مِصْبَاحًا . عَبَرَتْ بِهِمِ الْعَوَامَةُ حَوَالَى
سِتَّةَ عَشَرَ كِيلُومِتْرًا ، فَشَعَرُوا بِالْأَطْمِثَانِ ، وَتَنَاوَلُوا طَعَامَ الْعِشَاءِ ، وَأَخَذُوا يَتَهَلَّلُونَ
فَرَحًا بِإِنْجَازِهِمِ الْعَظِيمِ . لَقَدْ جَمَعُوا ، خِلَالَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، مَبْلَغَ أَرْبَعِمِئَةِ وَخَمْسَةِ
وَسِتِّينَ دُولَارًا !

صَاحَ بَعْضُ الرِّجَالِ غَاضِبِينَ : « مَاذَا يَعْنِي هَذَا ؟ هَلِ انْتَهَى الْعَرَضُ ! » أَمَّا
الْبَاقُونَ فَظَلُّوا صَامِتِينَ لَحَظَاتٍ ، وَلَمْ يُرِيدُوا أَنْ يُصَدِّقُوا مَا سَمِعُوا . ثُمَّ هَبَّ الْجَمِيعُ
فِي ثَوْرَةٍ غَضَبٍ جَارِفٍ ، فِي نَيْتِهِمْ تَحْطِيطُ الْمَسْرَحِ عَلَى رُؤُوسِ الْمُثَلِّينَ .
فَانْبَرَى ، مِنْ بَيْنِهِمْ ، رَجُلٌ كَبِيرُ السِّنِّ ، وَصَاحَ بِصَوْتٍ جَهْوَريٍّ آمِرٍ : « مَهْلًا ،
مَهْلًا . لَقَدْ خُدِعْنَا وَانْظَلَّتْ عَلَيْنَا حِيلَةٌ مَآكِرَةٌ . وَلَكِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ نُحْدِثَ ضَجَّةً
وَنُكْشِفَ الْأَمْرَ ، فَكَوْنُ أَضْحُوكَةَ أَهْلِ الْبَلَدَةِ ... فَلْنَذْهَبْ إِلَى بُيُوتِنَا بِهَدوءٍ ، وَلْنُخْبِرْ
أَصْدِقَاءَنَا أَنَّ شَاهِدَنَا عَرَضًا رَائِعًا لَا يُفَوَّتُ . »

دَارَتِ الْأَحَادِيثُ فِي الْبَلَدَةِ ، خِلَالَ الْيَوْمِ التَّالِي ، حَوْلَ عَظَمَةِ ذَلِكَ الْعَرَضِ
الْمَسْرَحِيِّ الْجَرِيِّ ، فَكَتَطَّتِ الْقَاعَةُ مَسَاءً بِالْمُشَاهِدِينَ . وَقَدْ غَادَرَ هَؤُلَاءِ الْمَسْرَحَ

اسْتَعْرِقَ الدَّوْقُ وَالْمَلِكُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ، فِيمَا رَاحَ هَاكُ وَجِمْ يَسْتَذْكِرَانِ أَحْدَاثَ
الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ . وَقَدْ أَصْبَحَ جِمْ الْآنَ مُقْتَنِعًا بِأَنَّ هَذَا الدَّوْقَ وَذَاكَ الْمَلِكَ هُمَا مِنْ
حُثَالَةِ النَّاسِ . ظَلَّ جِمْ مُسْتَقِظًا لِلْحِرَاسَةِ لِيُتِيحَ لِهَاكَ مَجَالًا لِلنَّوْمِ . وَلَمَّا أَفَاقَ هَاكُ ،
بَعْدَ سَاعَاتٍ ، كَانَ جِمْ يَنُوبُ وَيَبْكِي ، وَأَخْبَرَ هَاكُ أَنَّهُ اشْتَاقَ لِرَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَأَنَّهُ
يَتَمَنَّى أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ .

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، أَعْرَبَ الدَّوْقُ عَنْ انْزِعَاجِهِ لِاضْطِرَارِهِمْ إِلَى رَبْطِ جِمْ
خِلَالَ سَاعَاتِ النَّهَارِ ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ يَنْوِي إِرَاحَتَهُ . ثُمَّ رَاحَ يُفْتَشُ بَيْنَ مَجْمُوعَةِ الْأَلْبَسَةِ
الَّتِي لَدَيْهِ ، وَأَخْرَجَ ثِيَابَ شَخْصِيَّةِ الْمَلِكِ لِيرَافِي مَسْرَحِيَّةَ شِكْسْپِيرِ الشَّهِيرَةِ ، وَالْبَسَهُ
إِيَّاهَا . وَقَدْ بَدَأَ التَّنَافُرُ وَاضِحًا فِي هَيْئَتِهِ ، فَشَعْرُهُ الْمُسْتَعَارُ أَيْضًا وَكَذَلِكَ لِحْيَتُهُ ، أَمَّا
وَجْهُهُ فَمَطْلَبِيٌّ بِاللُّونِ الْأَزْرَقِ الدَّاكِنِ . ثُمَّ كَتَبَ بِالطَّبَاشِيرِ عَلَى لَوْحَةٍ مَوْضُوعَةٍ
أَمَامَ الْخِيَمَةِ : «عَجْرِيٌّ مَرِيضٌ . وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُؤَذٍ عِنْدَمَا يَكُونُ بِكَامِلٍ قُوَاهُ الْعَقْلِيَّةِ» .
سَرَّ جِمْ لِأَنَّ هَذَا التَّدْبِيرَ الْاِخْتِيَالِيَّ سَيَمْنَحُهُ حُرِّيَّةَ الْحَرَكَةِ ، وَوَعَدَ بِالتَّصَرُّفِ
كَمَجْنُونٍ يَهْدِي إِذَا مَا اقْتَرَبَ أَحَدٌ مِنَ الْعَوَامَةِ .

لَدَى الْوُصُولِ قُرْبَ الْبَلَدَةِ التَّالِيَةِ ، الْوَاقِعَةِ بِمُحَازَاةِ النَّهْرِ ، نَزَلَ الدَّوْقُ وَالْمَلِكُ
إِلَى الْيَابِسَةِ . وَقَدْ رَأَى فَتًى غَرِيبًا بَدَأَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ شَخْصًا مَا .

تَوَجَّهَ الْفَتَى بِالسُّؤَالِ لِلْمَلِكِ : «هَلْ أَنْتَ السَّيِّدُ هَارْفِي وَيْلَكُسُ؟»

- كَلَّا . أَنَا الْكَاهِنُ الْكُسْنِدِرُ بِلُودَغْتِس . وَإِنِّي آسِفٌ لَأَنَّكَ لَمْ تَلْتَقِ بِالسَّيِّدِ
وَيْلَكُسُ !

- وَأَنَا كَذَلِكَ آسِفٌ ، لِأَنَّهُ فَوَتْ فُرْصَةَ رُؤْيَةِ أَخِيهِ پِيتَرِ قَبْلَ وَفَاتِهِ .



رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ فِي هَذَا الْوَضْعِ فُرْصَةً كَبِيرَةً لِلِاسْتِفَادَةِ ، فَأَخَذَ يَتَحَدَّثُ وَالشَّابَّ مُسْتَفْهِمًا ، حَتَّى عَرَفَ كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَرْحُومِ پيتر وِيلِكْس وعَائِلَتِهِ . عَلِمَ أَنَّ پيتر وِيلِكْس كَانَ قَدْ كَتَبَ وَصِيَّةً نَصَّ فِيهَا عَلَى أَنَّهُ يَتْرُكُ ثَرْوَتَهُ الْكَبِيرَةَ لِأَخَوَيْهِ الْأَكْبَرِ هَارْفِي وَالْأَصْغَرِ وِلِيم ، وَهَذَا الْأَخِيرُ أَصَمُّ وَأَبْكَمُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْوَصِيَّةِ أَنَّ حَوَالِي سِتَّةِ آلَافِ دُولَارٍ كَانَتْ مُخَبَّأَةً فِي مِعْطَفٍ فِي مَكَانٍ مَا مِنْ الْبَيْتِ . وَسَيُؤَوَّلُ جُزْءٌ مِنَ الْأَمْلاكِ أَيْضًا لِبَنَاتِهِ الثَّلَاثِ : مَارِي جِين ، وَهِيَ فِي الثَّاسِعَةِ عَشْرَةِ ، وَسُوزَان ، وَهِيَ فِي الْخَامِسَةِ عَشْرَةِ ، وَجُوانَا ، وَلَهَا أَرْبَعَةُ عَشَرَ عَامًا . كَمَا اكْتَشَفَ أَنَّ پيتر كَانَ يَعْمَلُ دَبَّاغًا ، أَمَّا هَارْفِي فَكَانَ يَعْمَلُ فِي شِفِيلْد بِإِنْكَلْتِرَا . كَانَتْ مَرَاسِمُ الدَّفْنِ سَتَقَامُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، وَلَكِنَّ الشَّابَّ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي التَّشْيِيعِ لِأَنَّهُ سَيَبْحِرُ فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ إِلَى نِيو أَوْرُلِيَانز .

بَدَأَ الْمَلِكُ فَوْرًا بِتَنْفِيدِ خُطَّتِهِ ، فَتَوَجَّهَ هُوَ وَالِدُّوقُ إِلَى الْبَلَدَةِ وَكَانَهُمَا نَزَلَا لِتَوَهُيمَا مِنَ السَّفِينَةِ الْبُخَارِيَّةِ . وَسَرَّعَانَا مَا التَّقِيَا بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدَةِ ، فَبَادَرَهُمُ الْمَلِكُ بِالسُّؤَالِ : « هَلْ يَتَكَرَّمُ أَيُّ مِنْكُمْ ، أَيُّهَا السَّادَةُ ، وَيُرْشِدُنِي إِلَى حَيْثُ يَقِيمُ السَّيِّدُ پيتر وِيلِكْس ؟ »

سَادَ الصَّمْتُ وَالْوُجُومُ ، ثُمَّ خَاطَبَهُ أَحَدُهُمْ بِوَقَارٍ ، قَائِلًا : « لِلْأَسَفِ يَا سَيِّدِي ، يُمْكِنُنَا أَنْ نُخْبِرَكَ أَئِنْ كَانَ يَقِيمُ حَتَّى الْآنَ . لَقَدْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ . »

تَظَاهَرَ الْمَلِكُ بِالْمُفَاجَأَةِ ، وَأَرْخَى جِسْمَهُ حَتَّى كَادَ يَنْهَارُ أَرْضًا وَهُوَ يُؤَلِّوْلُ : « الْمَسْكِينُ ! لَقَدْ تَوَفَّي شَقِيقُنَا الْعَزِيزُ ، وَلَمْ نَتِمَكَّنْ مِنْ وَدَاعِهِ . اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا الصَّبْرَ وَالْعَزَاءَ . »

ثُمَّ انْفَجَرَ بَاكِيًا وَهُوَ يَقُومُ بِحَرَكَاتٍ وَإِشَارَاتٍ غَرِيبَةٍ بَلْهَاءٍ أَمَامَ الدُّوقِ . وَكَانَ هَذَا الْأَخِيرُ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَتَكَلَّمُ . وَقَدْ جَرَى كُلُّ ذَلِكَ وَسَطَ ذُهُولِ أَبْنَاءِ الْبَلَدَةِ وَتَأَثُّرِهِمُ الْعَمِيقِ . ثُمَّ قَادُوا الرَّجُلَيْنِ إِلَى دَاخِلِ الْبَلَدَةِ . أَمَّا هَاكَ الَّذِي رَأَى كُلَّ مَا حَدَثَ ، فَقَدْ اعْتَرَاهُ الشُّعُورُ بِالْأَشْمِئَازِ لِمَا قَامَ بِهِ الْمَلِكُ وَالِدُّوقُ ، وَاعْتَبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَرِ فِي حَيَاتِهِ مَنْ يُمَاتِلُهُمَا خِسَّةً وَدَنَاءَةً .



وَصَلَ الْمَلِكُ وَالِدُوقُ إِلَى بَيْتِ الْفَقِيرِ وَوَجَدَا الْجُثْمَانَ مُسَجَّى ، فَكَعَا أَمَامَهُ
بِاحْتِرَامٍ ظَاهِرٍ وَذَرَفَا الدُّمُوعَ بِسَخَاءٍ ، مِمَّا جَعَلَ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ يُشَارِكُونَهُمْ
الْحُزْنَ وَالْأَسَى . ثُمَّ تَكَلَّمَ الْمَلِكُ بِعِبَارَاتٍ مُؤَثِّرَةٍ جَدًّا ضَمَّنَهَا أَسْمَاءَ كُلِّ الْأَصْدِقَاءِ
وَأَفْرَادِ الْعَائِلَةِ الَّذِينَ سَيَكُونُ الْفَقِيرَ الْغَالِي . ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ حَفِظَ كُلَّ التَّفَاصِيلِ
وَجَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَشَفَهَا ذَلِكَ الْفَتَى الثَّرَائِرُ بِكُلِّ بَرَاءَةٍ .

قَرَأَتْ إِحْدَى الْفَتَيَاتِ وَصِيَّةَ پيتر ، وَأَشَارَتْ إِلَى أَنَّهُ يُوجَدُ فِي الْقَبْوِ كَيْسٌ يَحْوِي
سِتَّةَ آلَافِ دُولَارٍ ذَهَبِيٍّ لِتُوزَعَ عَلَى الْوَرَثَةِ الْمُسْتَحِقِّينَ . نَزَلَ الْمَلِكُ وَالِدُوقُ إِلَى الْقَبْوِ
وَأَحْضَرَا الثُّقُودَ ، وَلَكِنَّهُمَا فُوجِئَا ، عِنْدَ عَدِّهَا ، بِأَنَّ مَا فِي الْكَيْسِ أَقَلُّ مِنَ الْمَبْلَغِ
الْمَذْكُورِ بِأَرْبَعِمِئَةِ وَخَمْسَةِ عَشَرَ دُولَارًا . وَالْأَرْجَحُ أَنَّ پيترَ وَيلكُسَ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ
عِنْدَمَا عَدَّ الدُّولَارَاتِ وَوَضَعَهَا فِي الْكَيْسِ . تَظَاهَرَ الْمَلِكُ وَالِدُوقُ بِالتَّفَهُمِ وَالْعَطْفِ
وَالْحِسِّ النَّبِيلِ ، فَدَفَعَا الْمَبْلَغَ النَّاقِصَ مِنْ مَالِهِمَا الْخَاصِّ مُصْرِّينَ عَلَى أَنَّ مِنْ حَقِّ
الْفَتَيَاتِ أَخْذُ حِصَصِهِنَّ مِنْ أَصْلِ الْمَبْلَغِ كَامِلًا .

وَفِيمَا كَانَ الْحَاضِرُونَ جَمِيعًا يُشِيدُونَ بِكَرَمِ الرَّجُلَيْنِ وَنُبُلِهِمَا ، دَخَلَ الْبَيْتَ رَجُلٌ
طَوِيلٌ مُتَجَهِّمُ الْوَجْهِ ، هُوَ طَبِيبُ الْبَلَدَةِ الدُّكْتُورُ رُوبِنْسُونُ . أَخَذَ الدُّكْتُورُ رُوبِنْسُونُ
يُرَدِّدُ عِبَارَاتٍ تَتَهَمُ الْمَلِكَ وَالِدُوقَ بِالْأَحْتِيَالِ وَالْخِدَاعِ وَالْكَذِبِ ، مُطَالِبًا بِطَرْدِهِمَا
مِنَ الْبَلَدَةِ ، وَلَكِنَّ كَلَامَهُ لَمْ يَلْقَ آذَانًا صَاعِيَةً .

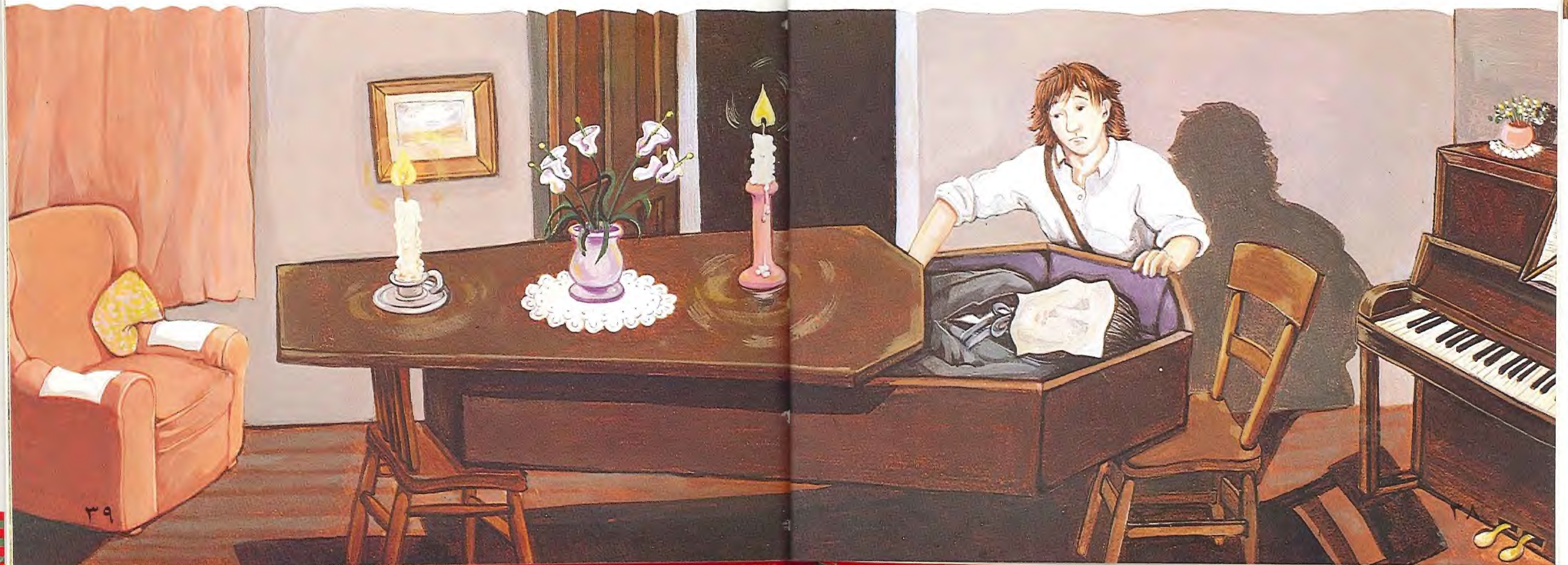


كَانَ هَاكَ يَرَى أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدُّوقُ وَالْمَلِكُ أَيْدِيَهُمَا عَلَى الْمَالِ ، فَإِنَّ الْبَنَاتِ لَنْ يَنْلَنَ شَيْئًا مِنْهُ . وَقَدْ تَأَكَّدَ مِنْ مَخَافِهِ تِلْكَ عِنْدَمَا سَمِعَ الْمُحْتَالَيْنِ يُخَطِّطَانِ لِلْهَرَبِ بِالْمَالِ ، تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ ، بَعْدَ أَنْ خَبَّاهُ مُوقَّتًا فِي إِحْدَى الْفُرُشِ . وَلَمَّا غَادَرَا الْغُرْفَةَ ، سَارَعَ هَاكَ إِلَى أَخْذِ كَيْسِ الْمَالِ . وَإِذْ فَكَّرَ فِي مَكَانٍ آمِنٍ لِيُخَبِّئَهُ فِيهِ أَتَجَهَّ رَأْسًا إِلَى غُرْفَةِ الْجُلُوسِ حَيْثُ وُضِعَ التَّابُوتُ . لَمْ يَكُنْ فِي الْغُرْفَةِ أَحَدٌ ، وَكَانَ التَّابُوتُ مَفْتُوحًا ، فَوَضَعَ هَاكَ كَيْسَ الذَّهَبِ فِي التَّابُوتِ قُرْبَ الْجُثْمَانِ . فِي الصَّبَاحِ ، تَلَيْتَ بَعْضُ الصَّلَوَاتِ وَأَقْبَلَ التَّابُوتُ .

لَا حَظَّ هَاكَ ، فِي الْمَسَاءِ ، أَنَّ مَارِي جِينِ كَانَتْ حَزِينَةً جَدًّا ، وَلَمْ يَعُدْ يَتَحَمَّلُ

رُؤْيَاهَا هِيَ وَأَفْرَادَ عَائِلَتِهَا الطَّيِّبِينَ ضَحَايَا لِهَذَيْنِ الْخَبِيثَيْنِ الْمَاكِرَيْنِ ، فَأَخْبَرَهَا الْحَقِيقَةَ : كَشَفَ لَهَا أَنَّ الدُّوقَ وَالْمَلِكَ مُحْتَالَانِ خَسِيسَانِ ، وَأَنَّهُمَا لَمْ يَعْرِفَا الْفَقِيدَ قَطُّ ، وَطَمَّأْنَهَا بِأَنَّ مَالَ الْعَائِلَةِ لَنْ يَضِيعَ مِنْهَا . صَدَّقَتْ مَارِي جِينِ كَلَامَ هَاكَ وَأَعْلَنْتْ أَنَّ أَبْنَاءَ الْبَلَدَةِ الْغَاضِبِينَ سَيَمْرُقُونَ هَذَيْنِ الدَّنِثَيْنِ وَيُلْقُونَهُمَا فِي النَّهْرِ .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، تَوَقَّفَ مَرْكَبُ بُخَارِيٍّ عِنْدَ الرَّصِيفِ ، وَنَزَلَ مِنْهُ رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا مُتَقَدِّمٌ فِي السِّنِّ وَالثَّانِي أَصْغَرُ مِنْهُ . ادَّعَى الرَّجُلَانِ أَنَّهُمَا هَارِثِيٌّ وَوَلِيمٌ وَيْلَكُسُ شَقِيقَا الْمَرْحُومِ پِيتَرِ وَيْلَكُسِ . وَكَانَ يَصْحَبُهُمَا مُحَامِيَهُمَا الْأُسْتَاذُ بِل .





الرَّجَالُ بِالْعَمَلِ ، وَكَانَ الْبَرْقُ اللَّامِعُ يُنِيرُ ظِلَامَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْعَاصِفَةِ . وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى التَّابُوتِ ، انْتَابَ هَاكَ الْهَلَعُ وَهُمْ يَنْزِعُونَ مَسَامِيرَ الْغِطَاءِ . بَعْدَ ذَلِكَ سُمِعَتْ صَرَخَاتُ دَهْشَةٍ : « إِنَّهُ پِيتَرُ وَيْلَكُسُ فِعْلًا . وَلَكِنْ هُنَاكَ كَيْسٌ قِطْعٌ ذَهَبِيَّةٌ قُرْبَ رَأْسِهِ ! »

ثَارَ الرَّجَالُ وَأَخَذُوا يَتَدَافَعُونَ لِرُؤْيَةِ ذَلِكَ بِأَمِّ الْعَيْنِ . وَخِلَالَ هَذَا اللَّغَطِ الْحَاصِلِ أَفْلَتَ هَاكَ مِنْ بَيْنِ أَسْرِيهِ ، وَانْطَلَقَ يَعْدُو مَارًّا فِي الْبَلَدَةِ الْخَاوِيَةِ وَصُولًا إِلَى الْجَدُولِ الْفَرْعِيِّ ، فَاسْتَقَلَ قَارِبًا صَغِيرًا وَجَدَهُ هُنَاكَ ، وَأَخَذَ يُجَذِّفُ مُتَجِهًا نَحْوَ الْعَوَامَةِ . فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ رَأَى جِيمَ الْقَارِبِ مُتَجِهًا نَحْوَهُ ، فَخَرَجَ مِنَ الْخِيَمَةِ لِلِقَائِهِ .

بَدَأَتْ الْأُمُورُ تَتَازَّمُ ، وَوَقَعَ أَبْنَاءُ الْبَلَدَةِ فِي حَيْرَةٍ ، وَأَخَذُوا يَشْكُونَ فِي حَقِيقَةِ أَفْرَادِ عَائِلَةٍ وَيْلَكُسُ كُلِّهِمْ ، حَتَّى إِنَّهُمْ أَخَذُوا يَتَسَاءَلُونَ : « هَلْ دَفَنَّا پِيتَرُ وَيْلَكُسُ الْحَقِيقِيِّ بِالْأَمْسِ أَمْ رَجُلًا آخَرَ ! »

ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمُحَامِي وَسَطَ صَخَبِ الْجُمْهُورِ : « أَيُّهَا السَّادَةُ ! اِسْمَعُونِي مِنْ فَضْلِكُمْ .. لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ سَبِيلٍ لِلتَّأَكُّدِ سِوَى الذَّهَابِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ وَنَبْشِ الْجُثَّةِ . وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَجِبُ إِمْسَاكُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ الْمُدَّعِيَيْنِ وَالصَّبِيِّ الْمُرَافِقِ لَهُمَا ، فَقَدْ نَضَطَّرُّ إِلَى شَنْقِهِمْ . »

هُرِعَ أَبْنَاءُ الْبَلَدَةِ كُلُّهُمْ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ الرُّفُوشَ وَالْمَعَاوِلَ . بَدَأَ

أَخَذَ هَاكَ وَجِيمَ يَتَهَلَّلَانِ لِتَخْلُصَهُمَا مِنْ صُحْبَةِ هَذَيْنِ الْمُخَادِعَيْنِ ، وَلَكِنْ
سَرَّعَانَ مَا شَاهَدَا زَوْرَقًا يَتَجَهُّ نَحْوَ الْعَوَامَةِ . يَا لِلْحَظِّ الْمُنْكَودِ ! إِنَّهُمَا الْمَلِكُ
وَالدُّوقُ ! فَكَيْفَ ظَهَرَا مُجَدَّدًا ؟

أَمَضَى الرَّجُلَانِ زُهَاءً سَاعَةً وَهُمَا يُحَلِّلَانِ أَحْدَاثَ السَّاعَاتِ الْآخِرَةِ . وَكَثُرَ مَا
حَيَّرَهُمَا هُوَ كَيْفِيَّةُ انْتِقَالِ كَيْسِ الذَّهَبِ إِلَى التَّابُوتِ . وَقَدْ اسْتَمَعَ هَاكَ إِلَيْهِمَا مِنْ
دُونِ أَنْ يَنْبَسَ بِنْتِ شَفَةِ .

انْسَابَتِ الْعَوَامَةُ مَعَ مَاءِ النَّهْرِ الْمُنْدَفِعِ بِضَعَةِ أَيَّامٍ ، مِمَّا أَبْعَدَهُمْ عَنِ الْخَطَرِ .
كَانَ الْمَلِكُ وَالِدُّوقُ يُمَضِيَانِ السَّاعَاتِ يَتَحَادَثَانِ وَيَتَنَاقَشَانِ ، وَكَانَهُمَا يُخَطِّطَانِ
لِلْقِيَامِ ثَانِيَةً بِأَعْمَالِ الْغِشِّ وَالْخِدَاعِ . وَلَدَى التَّوَقُّفِ فِي بَعْضِ الْقُرَى وَالْبَلَدَاتِ كَانَا
يَجْمَعَانِ النَّاسَ وَيَخْطُبَانِ فِي الْأَخْلَاقِ ، أَوْ يُعْطِيَانِ دَرْسًا فِي الرَّسْمِ ، وَأَحْيَانًا
يُمَارِسَانِ التَّنْوِيمَ الْمِغْنَطِيسِيَّ . وَلَكِنَّهُمَا ، فِي كُلِّ ذَلِكَ ، لَمْ يَلْقَا التَّجَاوُبَ الْمَشْهُودَ
وَجَمْعًا قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ .

بَنَدَ أَنْ ذَهَبَ الْمَلِكُ وَالِدُّوقُ ، صَبَاحَ أَحَدِ الْأَيَّامِ ، إِلَى الْبَلَدَةِ ، تَوَجَّهَ هَاكَ
مُنْفَرِدًا إِلَى الشَّاطِئِ ، وَعَادَ بَعْدَ قَلِيلٍ وَنَادَى جِيمَ ، فَلَمْ يَلْقَ جَوَابًا . وَإِذْ تَأَكَّدَ هَاكَ
مِنْ أَنَّ صَدِيقَهُ جِيمَ قَدْ اخْتَفَى ، عَادَ إِلَى الشَّاطِئِ لِيَبْحَثَ عَنْهُ . وَقَدْ التَّقَى بِوَلَدٍ مَارٍّ
مِنْ هُنَاكَ ، عَلِمَ مِنْهُ أَنَّ رَجُلًا عَجُوزًا قَدْ سَلَّمَ ، فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، عَبْدًا فَارًّا ،
مُقَابِلَ مِئَتِي دُولَارٍ ، لِلسَّيِّدِ فِيلِيسِ الَّذِي يَقَعُ مَتَرُهُ عَلَى مَسَافَةِ ثَلَاثَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ مِنْ
قَرْيَةِ پَايَكْسَقِيلِ .

سَيَّطَرَتْ عَلَى هَاكَ مَشَاعِرُ الْحُزْنِ وَالْغَضَبِ مَعًا ، وَقَدْ اعْتَبَرَ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ هُوَ
أَحَقُّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ . أَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ ، أَنَّهُ إِذَا كُشِفَ الْأَمْرُ . فَقَدْ
يَتَوَرَّطُ هُوَ شَخْصِيًّا وَيُدَانُ لِمُسَاعَدَتِهِ عَبْدًا زَنْجِيًّا عَلَى الْهَرَبِ لِتَحْرِيرِ نَفْسِهِ .



لِذَلِكَ أَخَذَ هَاكَ يُعَانِي مِنْ وَخْزِ الضَّمِيرِ : فَقَدْ اعتَبَرَ أَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ عِنْدَمَا سَاعَدَ جِيمَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْقَانُونِ. وَلَكِنَّهُ تَسَاءَلَ : هَلْ مُخَالَفَةُ الْقَانُونِ خَطِيئَةٌ؟ وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ آثِمًا بَعْدَ أَنْ اسْتَعْرَضَ مَا يَعْرِفُهُ عَنْ جِيمَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ اكْتَسَبَ صِدَاقَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ وَذَلِكَ بِفَضْلِ نَفْسِيَّةِ هَذَا الرَّنْجِيِّ الطَّيِّبِ الْقَلْبِ. وَأَخِيرًا قَرَّرَ هَاكَ أَنَّهُ يُفَضِّلُ تَحْمِلَ الْعَذَابِ عَلَى خِيَانَةِ هَذَا الصَّدِيقِ الْمُخْلِصِ الْوَدُودِ ، وَأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِلْمُخَاطَرَةِ بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ إِنْقَازِ جِيمَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى لَمْ شَمْلِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ.



وَصَلَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يَقَعُ بَيْتُ السَّيِّدِ فِيلِيسَ خَارِجَهَا ، وَفُوجِيَ بِرُؤْيَا الدَّوْقِ يَضَعُ مُلْصَقَاتٍ وَيُوزَعُ إعلاناتٍ عَنْ إِقَامَةِ حَفْلَةٍ لِد «الْعَرْضِ الْمَلِكِيِّ الْجَرِيِّ». وَقَدْ صُغِقَ بِرُودَةٍ أَغْصَابِ هَذَا الْمُحْتَالِ الْوَقِحِ وَصَفَاقَتِهِ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ بَعْدَ كُلِّ مَا حَصَلَ مَا زَالَ هُوَ وَشَرِيكُهُ يُخَطِّطَانِ لِلْقِيَامِ بِالْأَعْيِهِمَا. قَالَ الدَّوْقُ مُعَلِّلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُ وَالْمَلِكُ مُفْلِسَانِ وَعَلَيْهِمَا إِقَامَةُ هَذَا الْعَرْضِ لِكَسْبِ بَعْضِ الْمَالِ. تَجَاوَزَ هَاكَ وَاقِعَةَ قِيَامِ الْمَلِكِ بِيَعِ جِيمَ لِلْسَّيِّدِ فِيلِيسَ ، وَتَرَكَ الدَّوْقَ وَتَابَعَ طَرِيقَهُ.

كَانَتْ الْقَرْيَةُ عِبَارَةً عَنْ بَضْعَةِ بُيُوتٍ تُحِيطُ بِهَا حُقُولٌ مَزْرُوعَةٌ قُطْنًا. وَكَانَ بَيْتُ السَّيِّدِ فِيلِيسَ عِنْدَ أَطْرَافِهَا. وَهُوَ بَيْتٌ خَشْبِيٌّ كَبِيرٌ مُحَاطٌ بِسُتَانٍ مُسَوَّرٍ مَلِيٍّ بِالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ وَالْخَضِرَاوَاتِ. أَمَّا وَرَاءَ حُقُولِ الْقُطْنِ فَكَانَ هُنَاكَ غَابَاتٌ كَثِيفَةٌ. وَمَا إِنِ اقْتَرَبَ هَاكَ مِنْ تِلْكَ الْمَزْرَعَةِ الْمُنْعَزَلَةِ حَتَّى خَرَجَتْ لِمُلَاقَاتِهِ امْرَأَةٌ بِيَضَاءٍ فِي حَوَالِي الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ. اقْتَرَبَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ هَاكَ ، وَقَدْ فَتَحَتْ ذِرَاعَيْهَا ، وَصَاحَتْ : «هَذَا أَنْتَ؟ وَأَخِيرًا جِئْتَ! تَعَالَوْا يَا أَوْلَادُ، إِنَّهُ تَوْمٌ!»



أَعْلَنْتَ أَنَّهَا عَمَّتُهُ «سالي»، وَأَنَّهَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُ قُدُومَهُ مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ، وَأَنَّ زَوْجَهَا «الْعَمَّ سِيلَاسَ» ذَهَبَ إِلَى مَرْسَى الْبَوَاخِرِ لِيَكُونَ فِي اسْتِقْبَالِهِ. وَأَضَافَتْ: «سَيَعُودُ بَعْدَ قَلِيلٍ، فَلْنُخَبِّئْ كَيْ نُفَاجِئَهُ بِوُجُودِكَ». وَقَدْ وَضَعَتْهُ دَاخِلَ خِزَانَةِ صَغِيرَةٍ، ثُمَّ قَدَّمَتْهُ بِكُلِّ فَخْرٍ لِزَوْجِهَا عِنْدَ رُجُوعِهِ. وَقَفَ الْعَجُوزُ سِيلَاسُ مُنْذَهَشًا وَصَاحَ: «أَهَذَا هُوَ تَوْم؟» فَأَجَابَتْ زَوْجَتُهُ: «بِالطَّبَعِ، إِنَّهُ تَوْم سُورِ بِنَفْسِهِ».

لَمْ يُصَدِّقْ هَاكَ مَا سَمِعَتْهُ أَذْنَاهُ وَلَمْ يَنْطِقْ لِسَانُهُ بِكَلِمَةٍ، وَوَجَدَ أَنَّ لَا مَنَاصَ مِنَ التَّظَاهُرِ بِأَنَّهُ تَوْم سُورِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَخْشَى افْتِضَاحَ الْأَمْرِ لَدَى ظُهُورِ تَوْم سُورِ الْحَقِيقِيِّ. حَاوَلَ هَاكَ اكْتِسَابَ بَعْضِ الْوَقْتِ لِلتَّفَكِيرِ بِطَرِيقَةٍ لِلخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ، فَتَرَكَ الْمَتَرَلِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَانٍ وَجُودِ الْبَاخِرَةِ لِإِحْضَارِ أَمْتِعَتِهِ.

مَرَّتْ قُرْبَهُ فِي الطَّرِيقِ عَرَبَةٌ، وَكَانَ فِيهَا تَوْم سُورِ بِنَفْسِهِ. وَقَدْ هَلَعَ تَوْم لَدَى رُؤْيَاهُ هَاكَ، إِذْ خَالَ أَنَّهُ رَأَى شَبَحًا، فَهُوَ سَمِعَ بِالْأَخْبَارِ الَّتِي تَنَاقَلَهَا النَّاسُ عَنْ مَصْرَعِ هَاكَ قَبْلَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ.

شَرَحَ هَاكَ لِتَوْم كُلِّ مَا حَصَلَ مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ رَجَاهُ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى حَلٍّ لِلخُرُوجِ مِنْ وَرَطَبَتِهِ الْحَالِيَةِ وَهِيَ ادِّعَاؤُهُ بِأَنَّهُ تَوْم. وَاعْتَرَفَ لِتَوْم بِأَنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْقَانُونَ إِذْ سَاعَدَ جِيمَ عَلَى الْهَرَبِ. اعْتَقَدَ هَاكَ أَنَّ تَوْم سَيَلُومُهُ عَلَى فَعْلَتِهِ تِلْكَ، وَلَكِنَّهُ سَرَّ لَمَّا وَجَدَ أَنَّ تَوْم يُؤَيِّدُهُ فِي ذَلِكَ وَأَنَّهُ سَيُسَبِّحُهُ مَعَهُ فِي مُسَاعَدَةِ جِيمِ.





كَانَ هَاكَ وَتَوْمٌ يَتَجَاذِبَانِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ، فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ الْمُخَصَّصَةِ لَهُمَا ،
وَأَخَذَا يَتَبَادَلَانِ أَخْبَارَ مُغَامَرَاتِهِمَا . ثُمَّ قَرَّرَا أَنْ يَذْهَبَا إِلَى الْبَلَدَةِ لِلاِسْتِطْلَاعِ ، فَتَزَلَا
مِنَ النَّافِذَةِ ، وَانْطَلَقَا . اقْتَرَبَا مِنَ الْبَلَدَةِ ، فَسَمِعَا دَوِيَّ طَلَقَاتِ نَارِيَّةٍ وَأَصْوَاتًا كَالْمَوَاءِ
مَضْحُوبَةٍ بِقَرَعِ طُبُولٍ وَقَرَقَعَةٍ صَفِيحٍ وَنَفْخِ أَبْوَابٍ . وَالْوَاقِعُ أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدَةِ قَدْ
اكتشفوا أَنَّهُمْ ضَحِيَّةُ خِدَاعِ الْمَلِكِ وَالِدُوقِ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِمَا وَأَوْسَعُوهُمَا ضَرْبًا ، ثُمَّ
أَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا فِي أَرْجَاءِ الْبَلَدَةِ وَهُمَا مُقَيَّدَانِ . وَمَعَ اقْتِنَاعِ هَاكَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ
جَزَاءُ تَمَادِيهِمَا فِي الشَّرِّ ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَى لِحَالِهِمَا وَهُمَا يَنَالَانِ ذَلِكَ الْإِذْلَالَ . وَقَدْ
أَحْزَنَهُ أَنْ يَرَى مَدَى الْقَسْوَةِ وَالشَّرَاسَةِ الَّتِي تَسُودُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْبَشَرِ .

عَادَ هَاكَ إِلَى مَزْرَعَةِ آلِ فِيلِيسَ ، ثُمَّ تَبِعَهُ تَوْمٌ بَعْدَ قَلِيلٍ ، كَمَا اتَّفَقَا . أَوْقَفَ تَوْمٌ
عَرَبْتَهُ ، وَحَيَّا السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ فِيلِيسَ بِأَدَبٍ ، مُعْرِفًا عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ وَلِيمٌ طَوْمَسُونُ مِنْ
بَلَدَةِ مَكْسَقِيلِ فِي أَوْهَابُو ، وَأَنَّهُ سَيَتَابِعُ طَرِيقَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِ السَّيِّدِ أَرُشِيَالْدِ نِيكُولِزِ
(وَكَانَ تَوْمٌ قَدْ عَلِمَ بِهَذَا الْاسْمِ بِدَهَائِهِ وَفُطْنَتِهِ فِي الْأَسْئَلَةِ) . دَعَتْهُ السَّيِّدَةُ فِيلِيسَ
لِلْإِقَامَةِ فِي مَتَرْلِهِمْ بِضْعَةَ أَيَّامٍ ، فَقَبِلَ الدَّعْوَةَ بِكُلِّ شُكْرِ وَامْتِنَانٍ . كَانَ هَاكَ ، فِي
أَثْنَاءِ ذَلِكَ ، مُنْدهِشًا لِسَعَةِ خِيَالِ تَوْمٍ وَسُرْعَةِ خَاطِرِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى التَّظَاهُرِ بِأَيِّ شَيْءٍ ،
وَكَاَنَّهُ يَقُوقُ الْمَلِكَ وَالِدُوقَ دَهَاءً . حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِرِوَايَتِهِ الْأُولَى ، فَاعْتَرَفَ
لِلسَّيِّدَةِ فِيلِيسَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنِ السَّيِّدَ طَوْمَسُونُ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ «سَيِّدٌ» أَخُو تَوْمِ
سُوِيرِ . فَمَا كَانَ مِنَ السَّيِّدَةِ فِيلِيسَ إِلَّا أَنْ رَحَّبَتْ بِهِ تَرْحِيًّا حَارًّا ، وَأَعْرَبَتْ عَنْ
اعْتِبَارِهَا رِوَايَتَهُ الْأُولَى دُعَابَةً طَرِيفَةً .

كَانَ هُمْ هَاكَ وَتَوْمَ الْآنَ إِيجَادَ جِيمَ وَإِنْقَاذَهُ. وَقَدْ اسْتَطَاعَا - بِتَحَرِّيَاتِهِمَا
الذَّكِيَّةِ - أَنْ يَكْتَشِفَا أَنَّ جِيمَ كَانَ مَسْجُونًا فِي كُوْخٍ يَقَعُ فِي الْبُسْتَانِ الْمُحِيطِ
بِالْمَنْزِلِ، وَيَحْرُسُهُ خَادِمٌ زَنْجِيٌّ. وَقَدْ قَدَّمَا لِلْخَادِمِ رَشْوَةً فَتَمَكَّنَا مِنَ الدُّخُولِ إِلَى
الْكُوْخِ. كَادَ جِيمُ يَقْضَحُ الْأَمْرَ عِنْدَمَا عَبَّرَ عَنْ سُرُورِهِ الْعَارِمِ لِرُؤْيَا صَدِيقِيهِ
الْقَدِيمَيْنِ، وَلَكِنَّ هَاكَ هَمَسَ فِي أُذُنِهِ طَالِبًا مِنْهُ عَدَمَ إِظْهَارِ مَعْرِفَتِهِ بِهِمَا، وَطَمَّأَنَهُ
إِلَى أَنَّهُمَا يُخَطِّطَانِ لِإِنْقَاذِهِ.

كَانَ بِالْإِمْكَانِ إِخْرَاجُ جِيمَ - بِكُلِّ بَسَاطَةٍ - مِنَ النَّافِذَةِ. وَلَكِنَّ تَوْمَ سُورِ
اعْتَبَرَ أَنَّ تِلْكَ عَمَلِيَّةً عَادِيَّةً تَافِهَةً لَا تَلِيقُ بِبِرَاعَتِهِ. كَانَ عَلَيْهِمَا اعْتِمَادُ خُطَّةِ
جَرِيئَةٍ كَحَفْرِ نَفَقٍ تَحْتَ الْأَرْضِ أَوْ إِحْدَاثِ ثَقْبٍ كَبِيرٍ فِي جِدَارِ الْكُوْخِ. وَمِنْ
مَرَاكِزِ الْخُطَّةِ الْمُتَكَامِلَةِ خُطُواتُ جَرِيئَةٍ كَتَخْدِيرِ الْحُرَّاسِ، وَفَتْحِ الْأَقْفَالِ الْمَتِينَةِ،
وَنَشْرِ السَّلَاسِلِ، وَإِدْخَالِ سُلَّمٍ مِنْ حِجَالٍ... وَخُطَّةُ الْإِنْقَاذِ الْمُسْلِمَةِ يَجِبُ أَنْ
تَتَضَمَّنَ بَعْثَ رَسَائِلَ سِرِّيَّةٍ مَحْفُورَةٍ عَلَى أَسْفَلِ صَخْنِ الطَّعَامِ، وَأَنْ تُنْفَذَ بِاسْتِعْمَالِ
أَدَوَاتٍ بَسِيطَةٍ مِمَّا يَتَوَافَرُ لِلْسَّجِينِ. وَقَدْ أَصَرَ تَوْمَ عَلَى أَنْ يَتِمَّ الْحَفْرُ بِوَاسِطَةِ سِكِّينَيْنِ
صَغِيرَتَيْنِ يُمَكِّنُ تَحْوِيلُ إِحْدَاهُمَا إِلَى مِشَارٍ. وَعِنْدَمَا وَجَدَ هَاكَ مِشَارًا صَدِئًا وَفَاسًّا
وَمِعْوَلًا، وَأَخْبَرَ تَوْمَ بِذَلِكَ، رَفَضَ هَذَا الْأَخِيرُ اسْتِعْمَالَهَا مُعْتَبِرًا أَنَّ هَاكَ لَا يَعْرِفُ
كَيْفَ يُخَطِّطُ لِعَمَلِيَّةِ إِنْقَاذِ ذَاتِ مُسْتَوًى.

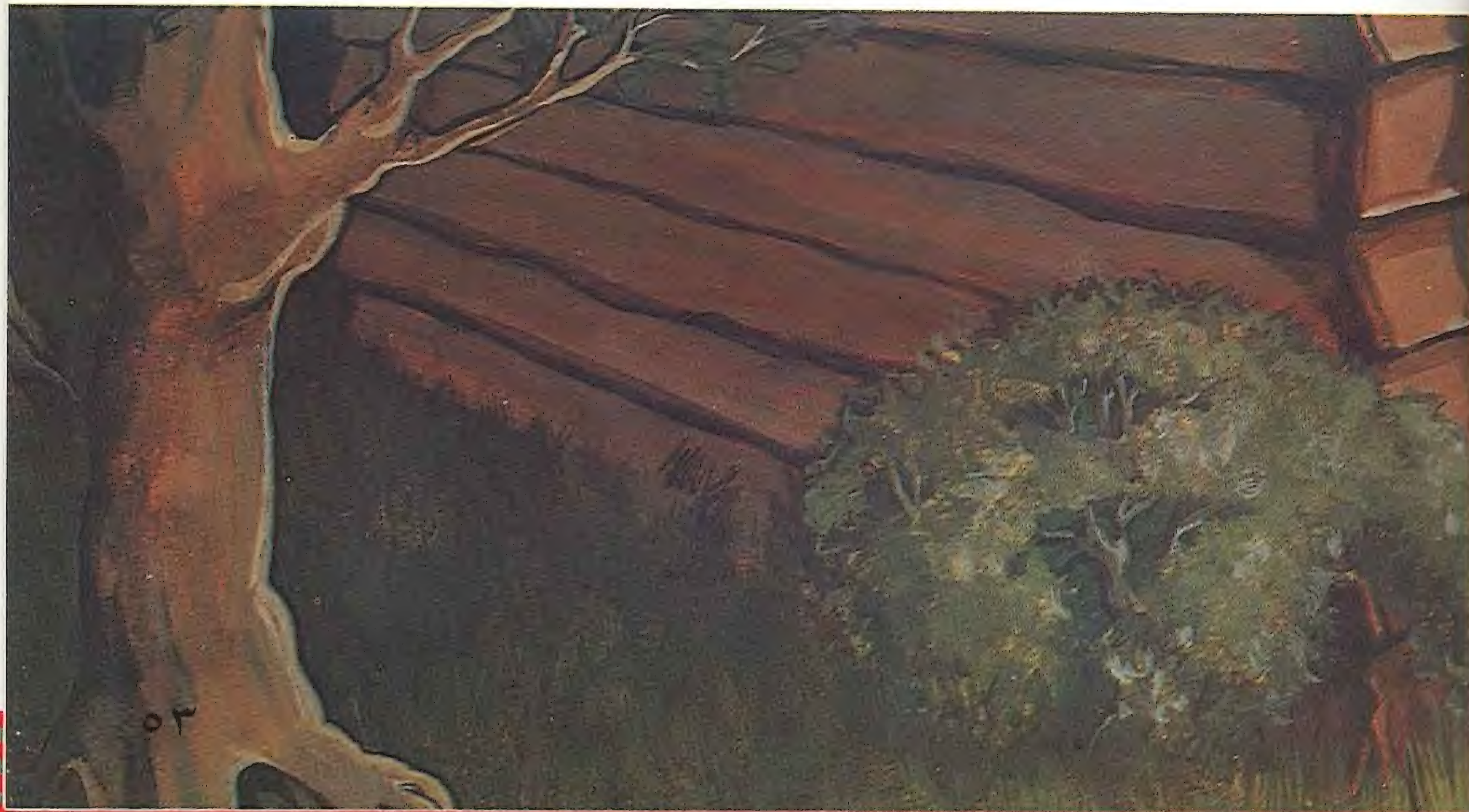


في اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ ، بَيْنَمَا كَانَ الْجَمِيعُ نِيَامًا ، تَسَلَّلَ هَاك وَتوم مِنْ غُرْفَتِهِمَا ، وَنَزَلَا عَلَى عَمُودِ مَانِعَةِ الصَّوَاعِقِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَا إِلَى كُوخِ جِيم . أَخَذَا يَحْفِرَانِ وَيَحْفِرَانِ بِوَاسِطَةِ السَّكِينَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ حَتَّى اقْتَرَبَ الْفَجْرُ . كَادَتْ أَيْدِيهِمَا تَتَشَقَّقُ وَتَدْمَى ، وَاعْتَرَفَ توم بِأَنَّ إِكْمَالَ حَفْرِ النَّفْقِ سَيَسْتَعْرِقُ حَوَالِي سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . رَأَى أَنَّهُ يَتَوَجَّبُ اسْتِعْمَالُ الْمَعَاوِلِ وَالرُّفُوشِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهَا سَكَاتِيْنُ ، وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ حَافِظٌ عَلَى مَبَادِيْهِ . وَقَدْ أَنْجَزَا فِي حَوَالِي نِصْفِ سَاعَةٍ مُعْظَمَ النَّفْقِ ، ثُمَّ رَأَيَا أَنَّ



يَكْتَفِيَا ، تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، بِهَذَا الْقَدْرِ . عَادَا ، وَتَسَلَّقَ هَاك عَمُودَ مَانِعَةِ الصَّوَاعِقِ ، وَلَكِنَّ الْجِرَاحَ فِي يَدَيْ توم مَنَعَتْهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ هَاك : «إِزْحَفْ عَلَى دَرَجَاتِ السُّلَمِ ، وَقُلْ إِنَّكَ تَسَلِّقُ الْعَمُودَ !» .

اسْتَأْنَفَ توم وَهَاك الْحَفَرَ فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ ، وَسَرَّعَانَ مَا وَصَلَا إِلَى دَاخِلِ السَّجَنِ ، وَجَاءَتِ الْحُفْرَةُ تَحْتَ سَرِيرِ جِيم مُبَاشَرَةً . طَارَ جِيمُ الْمِسْكِينُ فَرَحًا لَدَى رُؤْيَا صَدِيقِيْهِ دَاخِلَ الْكُوخِ ، وَلَكِنَّ توم أَصْرَّ عَلَى أَنَّ يَتِمَّ الْإِنْقَاذُ بِحَسَبِ الْأُصُولِ . فَعَمِلَا عَلَى أَنَّ يَهْرَبَا لِلْسَّجَنِ سُلَمًا مِنْ حِبَالٍ ، وَصُحُونًا مَعْدِنِيَّةً لِيَحْفَرَ عَلَيْهَا الرَّسَائِلُ بِوَاسِطَةِ مِسْمَارٍ كَبِيرٍ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى بَضْعِ شَمْعَاتٍ ، وَمُلَاءَةٍ لِيُسْتَعْمَلَ كَسُلْمٍ إِضَافِيٍّ ، وَقَمِيصٍ عَتِيقٍ مِنْ قُمُصَانِ الْعَمِّ سِيْلَاسٍ لِيَكْتَبَ عَلَيْهِ جِيمُ مَذْكُرَاتِهِ .



خَطَرَتْ بِبَالٍ توم فِكْرَةَ غَرِيبَةٍ أُخْرَى ، مُفَادِّهَا أَنَّ الزَّنَزَانَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَعَبَتْ فِيهَا الْعَنَاكِبُ وَالْجُرْدَانُ وَالْحَيَّاتُ . لِذَلِكَ انْطَلَقَ هُوَ وَهَاكَ لِيَجْمَعَا أَكْبَرَ عَدَدٍ مُمَكِّنٍ مِنْهَا .

تَمَكَّنَا ، بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، مِنْ إِيقَاعِ خَمْسَةِ عَشَرَ جُرْدًا فِي الشَّرَكِ ، وَجَمْعَا جَيْشًا مِنْ الْحَشَرَاتِ وَالضَّفَادِعِ وَأَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ حَيَّةً مِنَ الْبَسَاتِينِ فِي الْجَوَارِ . وَقَدْ حَمَلَا تِلْكَ الْغَنَائِمَ إِلَى الْمَتَرْلِ ، وَسَرَّعَانَ مَا انْتَشَرَتْ فِي أَرْجَائِهِ ، تَدَدَلَّى مِنْ بَيْنِ أَلْوَابِ الْجُدُرَانِ الْخَشَبِيَّةِ ، أَوْ تَسَلَّلَ بَيْنَ الْمَقَاعِدِ وَتَقَفَزَ عَلَى الصُّحُونِ ، وَتَنَسَّابُ فِي الْخَزَائِنِ وَالْأَدْرَاجِ ، مُثِيرَةً الرُّعْبَ وَالْفَزَعَ فِي قُلُوبِ كُلِّ أَهْلِ الْبَيْتِ . وَأَخِيرًا جُمِعَ شَتَاتُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْغَازِيَةِ فِي أَكْيَاسٍ رُبِطَتْ بِأَحْكَامٍ . ثُمَّ أُخِذَتِ الْأَكْيَاسُ وَفُتِحَتْ دَاخِلَ زَنْزَانَةِ جِيم . يَا لَجِيمِ الْمُسْكِينِ ، لَقَدْ ذَاقَ الْأَمْرَيْنِ مِنْ تِلْكَ الزَّحَافَاتِ وَالِدَوَابِّ الَّتِي أَنْدَسَتْ فِي فِرَاشِهِ ، وَدَخَلَتْ فِي ثِيَابِهِ ، وَشَاطَرَتْهُ طَعَامُهُ . وَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّجِينُ التَّعَسُّ أَنْ يَفْهَمَ لِمَاذَا كَانَ عَلَيْهِ تَحْمَلُ كُلِّ ذَلِكَ الْعَذَابِ ، حَتَّى إِنَّهُ اعْتَبَرَ السَّجْنَ أَقْسَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوَاجِهَهُ إِنْسَانٌ فِي حَيَاتِهِ .

عَاشَ جِيمُ فِي هَذَا الْجَحِيمِ ثَلَاثَةَ أَسَابِيعَ تَمَّمَ خِلَالَهَا كُلَّ وَاجِبَاتِهِ كَسَجِينٍ يَتَنَظَّرُ لَحِظَةَ الْفِرَارِ . وَتَفَتَّقَتْ عِبْقَرِيَّةُ توم عَنْ عَمَلٍ رَأَاهُ ضَرُورِيًّا لِإِضْفَاءِ طَابَعِ دَرَامَاتِيكِيٍّ عَلَى عَمَلِيَّةِ الْإِنْقَازِ : فَقَدْ كَتَبَ رِسَالَةً تَحْذِيرَ وَغَرَزَهَا عَلَى ظَهْرِ الْحَارِسِ الزَّنَجِيِّ الَّذِي كَانَ نَائِمًا خِلَالَ حِرَاسَتِهِ الْكُوخِ . وَقَالَ فِي الرِّسَالَةِ إِنَّ عِصَابَةً خَطِيرَةً قَدْ خَطَّطَتْ لِاخْتِطَافِ جِيمِ ، لَيْلًا ، لِنَيْلِ الْجَائِزَةِ الْمُخَصَّصَةِ لِلْقَبْضِ عَلَى ذَلِكَ الْعَبْدِ الْفَارِّ .





كَانَتْ الْعَوَامَةُ. هُنَاكَ أَحَسَّ توم بِأَلَمٍ شَدِيدٍ، وَرَأَى هَاكَ وَجِمْ عِنْدَهَا ضَرُورَةَ
إِحْضَارِ طَبيبٍ، فَعَادَ هَاكَ إِلَى الْقَرْيَةِ وَوَجَدَ طَبِيبًا. كَانَ الطَّيِّبُ رَجُلًا رَزِينًا طَيِّبَ
الْقَلْبِ، وَقَدْ أَصْغَى إِلَى كَلَامِ هَاكَ - وَلَمْ يَكُنْ كُلُّهُ صَاحِحًا - بِاهْتِمَامٍ بَالِغٍ، ثُمَّ
رَكِبَ الزَّوْرَقَ الصَّغِيرَ الَّذِي لَا يَتَسَعُّ إِلَّا لِشَخْصٍ وَاحِدٍ. وَتَوَجَّهَ الطَّيِّبُ وَحْدَهُ إِلَى
الْجَزِيرَةِ، فِيمَا أَمْضَى هَاكَ اللَّيْلَةَ عَلَى الشَّاطِئِ سَاهِرًا يَتَنَظَّرُ عَوْدَتَهُ. وَلَكِنَّ النَّعَاسَ
غَلَبَهُ أَخِيرًا، فَنَامَ. اسْتَيْقَظَ هَاكَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، وَأَسْرَعَ إِلَى مَنَزِلِ الطَّيِّبِ
لِيسْأَلَهُ عَنْ حَالَةِ توم، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الطَّيِّبَ خَرَجَ مُنْذُ بَضْعِ سَاعَاتٍ. قَفَلَ هَاكَ
رَاجِعًا، وَهَدَفَهُ التَّوَجُّهُ إِلَى حَيْثُ الْعَوَامَةُ، وَلَكِنَّهُ التَّقَى بِالْعَمِّ سَيَّالَسِ الَّذِي كَانَ
يَبْحَثُ عَنْهُ وَعَنْ توم. أَصَرَ الْعَمُّ سَيَّالَسَ عَلَى إِرْجَاعِ هَاكَ مَعَهُ إِلَى الْمَنَزِلِ، فَالْعَمَّةُ
سَالِي كَانَتْ شَدِيدَةَ الْقَلَقِ لِإِخْتِفَائِهِمَا. عِنْدَمَا وَصَلَا، تَبَدَّدَ شَيْءٌ مِنْ قَلَقِهَا لِرُؤْيَةِ
هَاكَ (أَيُّ توم سُورٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا) سَلِيمًا. وَأَخَذَتْ تُصْغِي لِرِوَايَاتِهِ وَتَبْرِيرَاتِهِ، وَالذَّهْشَةُ
تَمَلَّكُهَا.



فَعَلَتْ تِلْكَ الرِّسَالَةَ فَعَلَّتْهَا بِسُرْعَةٍ. فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ التَّالِي، دَخَلَ هَاكَ غُرْفَةَ
الْجُلُوسِ، وَفُوجِئَ بِوُجُودِ خَمْسَةِ عَشَرَ مُزَارِعًا، يَحْمِلُ كُلُّهُمْ بُنْدُقِيَّةً. جَلَسُوا
جَمِيعًا صَامِتِينَ يَرْصُدُونَ الْكُوخَ وَيَتَرَقَّبُونَ حُدُوثَ أَيِّ حَرَكَةٍ لِيَنْطَلِقُوا وَيَصُدُّوا أَفْرَادَ
الْعِصَابَةِ.

رَأَى هَاكَ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِلْعَمَلِ، فَمَا إِنْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ
حَتَّى صَعِدَ مُسْرِعًا إِلَى غُرْفَةِ النَّوْمِ، وَنَزَلَ هُوَ وَتوم عَلَى عَمُودٍ مَانِعَةٍ الصَّوَاعِقِ،
وَتَوَجَّهَا لِتَحْرِيرِ جِمْ. عِنْدَمَا أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ جَاهِزًا، صَرَخَ توم قَاصِدًا لَفَتْ انْتِبَاهَ
الْمُزَارِعِينَ لِإِضْفَاءِ نَكْهَةٍ مِنَ الْإِثَارَةِ وَالتَّشْوِيقِ عَلَى الْعَمَلِيَّةِ! تَسَلَّلَ هُوَ وَهَاكَ وَجِمْ
زَاحِفِينَ عَبْرَ النَّفَقِ الَّذِي كَانَ قَدْ أُعِدَّ لِهَذَا الْغَرَضِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا يَعْدُونَ فِي الْحُقُولِ
سَاعِينَ لِلْوُصُولِ إِلَى زَوْرَقِهِمِ الصَّغِيرِ. وَقَدْ لَحِقَ بِهِمِ الْمُزَارِعُونَ، مِنْ بَعِيدٍ،
وَأَطْلَقُوا بَضْعَ طَلَقَاتٍ نَارِيَّةٍ، أَصَابَتْ إِحْدَاهَا توم فِي سَاقِهِ. لَمْ يَتَزَعْجْ توم، فِي
بَادِي الْأَمْرِ، فَعَبَرُوا النَّهْرَ بِوَسِطَةِ الزَّوْرَقِ وَوَصَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ الصَّغِيرَةِ، حَيْثُ

أَخْبَرَهُمُ الطَّيِّبُ أَنَّهُ ، عِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَى الْعَوَامَةِ لِيُعَايِنَ توم ، كَانَ وَحْدَهُ ، لِأَنَّ هَاكَ ظِلَّ عِنْدَ ضَفَّةِ النَّهْرِ . لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْتَخْرِجَ الرَّصَاصَةَ مِنْ سَاقِ توم مِنْ دُونِ مُسَاعَدَةِ أَحَدٍ . ثُمَّ ظَهَرَ جيمُ فَجْأَةً ، وَعَرَضَ الْمُسَاعَدَةَ . وَأَضَافَ : « إِنِّي أَقُولُهَا بِالْفَمِ الْمَلَانِ : إِنَّ عَبْدًا كَهَذَا يُسَاوِي أَلْفَ دُولَارٍ ! وَيَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَامَلَ بِلُطْفٍ . لَقَدْ كُنْتُ هُنَاكَ عَلَى الْعَوَامَةِ ، وَحِيدًا ، أَمَامَ إِنْسَانٍ مُصَابٍ وَعَبْدٍ فَارٍّ . كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَسْتَغْلِلَ الْمَوْقِفَ وَيَهْرُبَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ . أَنَا أَرَى أَنَّهُ إِنْسَانٌ طَيِّبٌ . »

رَأَوْا أَنَّ يُعِيدُوا سَجْنَ جيم ، فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ ، فَأَرْجَعُوهُ مُقَيَّدًا إِلَى الْكُوخِ . أَمَّا توم فَكَانَ طَرِيحَ الْفِرَاشِ ، وَقَدْ جَلَسَتْ الْعَمَّةُ سَالِي طَوَالَ الصَّبَاحِ قُرْبَ سَرِيرِهِ . بَعْدَ الظُّهْرِ تَحَسَّنَتْ حَالُهُ ، وَأَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ ؛ فَشَرَحَ لِلْعَمَّةِ سَالِي كَيْفَ تَمَّ تَخْطِيطُ عَمَلِيَّةِ إِنْقَازِ جيم وَتَنْفِيزُهَا .

عِنْدَمَا عَلِمَ توم أَنَّ جيمَ قَدْ أُعِيدَ إِلَى السَّجْنِ ، جُنَّ جُنُونُهُ وَصَرَخَ : « أَطْلِقُوهُ حَالًا ! إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدًا . هُوَ إِنْسَانٌ حُرٌّ كَأَيِّ وَاحِدٍ مِنَّا . »

فَتَسَاءَلَتِ الْعَمَّةُ سَالِي : « هَلْ تَعْنِي مَا تَقُولُ ؟ »

وَأَجَابَ توم : « أَجَلٌ ، أَجَلٌ . لَقَدْ أَعْلَنْتِ الْآنِسَةُ وَاتسون ، قَبْلَ وَفَاتِهَا مِنْذُ شَهْرَيْنِ ، إِعْتَاقَهُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ ، وَنَصَّتْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَصِيَّتِهَا . »

إِزْدَادَتِ الْعَمَّةُ سَالِي تَعَجُّبًا وَاسْتِغْرَابًا وَسَأَلَتْ توم : « بِرَبِّكَ قُلْ لِي إِذَا ، لِمَاذَا تَجَشَّمْتَ كُلَّ هَذَا الْعَنَاءِ ، وَسَبَّبْتَ كُلَّ هَذِهِ الْمَشَاكِيلِ لِتَحْرِيرِهِ وَهُوَ إِنْسَانٌ حُرٌّ ! ! » فَأَجَابَ : « يَا لَهُ مِنْ سُؤَالٍ ! لَقَدْ رَغِبْتُ فِي الْمُغَامَرَةِ وَالْإِثَارَةِ ! كَانَتْ الْعَمَلِيَّةُ رَائِعَةً . »



فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، خَرَجَ الْعَمُّ سِيلاسُ بَاكِرًا لِيَبْحَثَ عَنْ سَيِّدٍ (أَيُّ توم) . وَقَدْ عَادَ بِهِ ظُهُرًا وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى نَقَالَةٍ . صَرَخَتِ الْعَمَّةُ سَالِي جَزَعًا إِذْ حَسِبَتْ أَنَّ الصَّبِيَّ الْمِسْكِينَ قَدْ مَاتَ . وَلَمْ يَزُلْ خَوْفُهَا إِلَّا عِنْدَمَا تَحَرَّكَ توم وَتَمَتَّمَ بِضَعِ كَلِمَاتٍ . ثُمَّ أَتَى الطَّيِّبُ ، وَجيمُ وَرَاءَهُ مُقَيَّدٌ بِالسَّلَاسِلِ . قَالَ الطَّيِّبُ إِنَّ بَعْضَ الْمُزَارِعِينَ كَانُوا يَنْوُونُ شَقَّ جيمَ بِصِفَتِهِ عَبْدًا فَارًّا ، وَلَكِنَّهُ حَالًا دُونَ ذَلِكَ ، وَدَافَعَ عَنْهُ .

وَصَلَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ آخِرُ مَنْ كَانَ يُتَوَقَّعُ وُصُولُهُ : إِنَّهَا بُولِي عَمَّةُ توم . لَقَدْ قَطَعَتْ حَوَالِي أَلْفٍ وَثَمَانِمِئَةِ كِيلُومِترٍ فِي النَّهْرِ بَحْثًا عَنْهُ . وَقَدْ تَعَجَّبَ الْجَمِيعُ عِنْدَمَا حَيَّتْ سَيِّدَ بِاسْمِ توم .

قَالَتْ الْعَمَّةُ سَالِي : « هَذَا لَيْسَ توم ! إِنَّهُ سَيِّد .. توم كَانَ هُنَا مِنْذُ دَقَائِقَ . » أَمَّا الْعَمَّةُ بُولِي فَقَالَتْ : « لَا بُدَّ أَنَّهُ هَاكِلَبْرِي فِين . أُخْرِجْ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ يَا هَاك . »



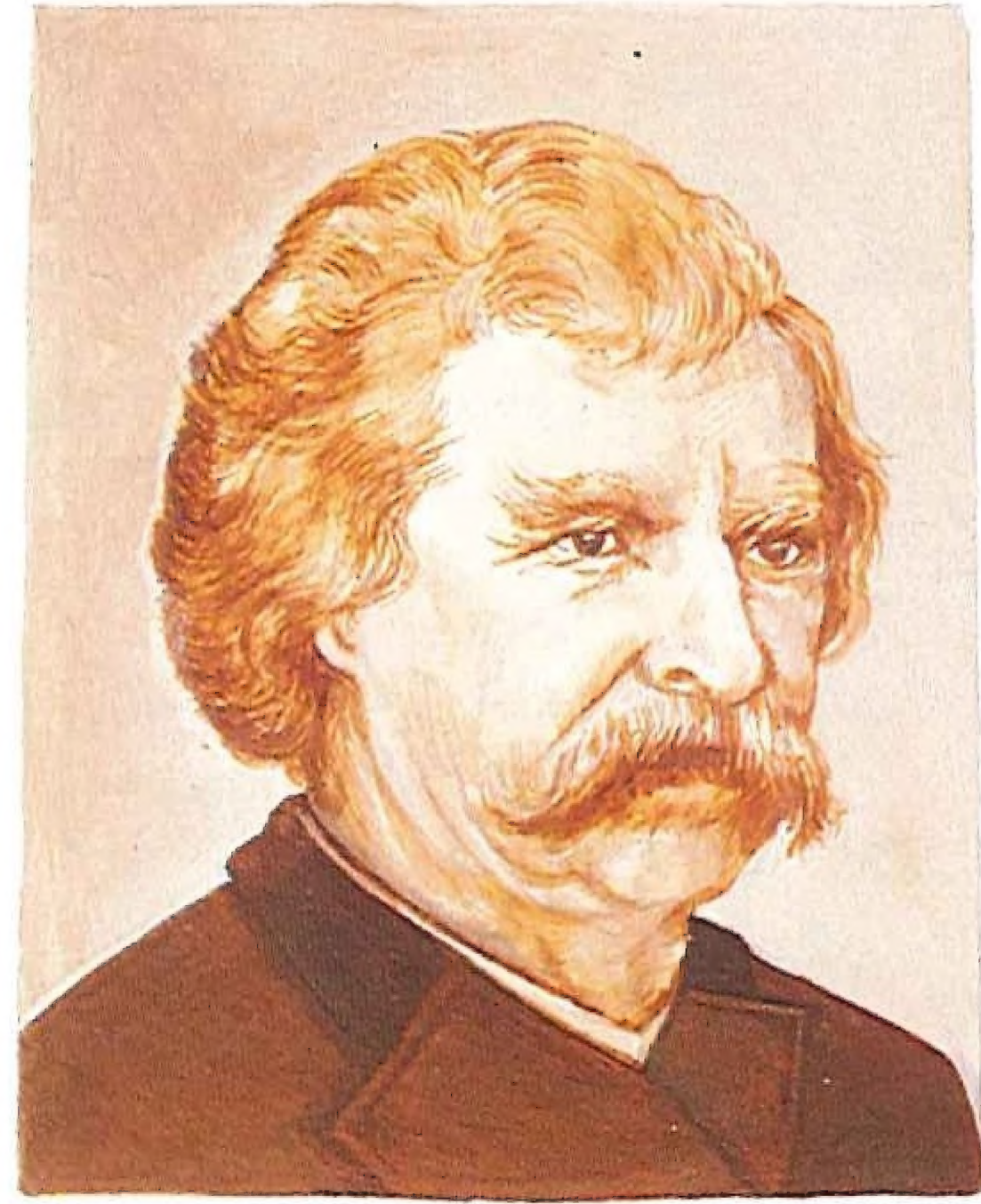
خَرَجَ هَاك مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ ، وَحَيَّتهُ الْعَمَّةُ بُولِي بِحَرَارَةٍ ، وَأَخَذَتْ تَشْرُحُ لِلْجَمِيعِ حَقِيقَةَ هَوِيَّةِ الْوَلَدَيْنِ . وَأَضَافَتْ أَنَّهَا ، لَدَى دُخُولِهَا ، سَمِعَتْ توم يُخْبِرُهُمْ عَنْ إِعْتَاقِ الْآنِسَةِ وَاتْسُونِ لِجِيمِ ، وَإِنَّهَا تُؤَكِّدُ ذَلِكَ . وَلَكِنَّهَا تَسَاءَلَتْ لِمَ لَمْ تُجِبِ الْعَمَّةُ سَالِي عَلَى الرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَتْهَا لَهَا وَأَخْبَرَتْهَا فِيهَا بِرَغْبَةِ توم وَأَخِيهِ سَيِّدَ بَرِيَارَتِهَا . وَهُنَا اعْتَرَفَ توم مُرْتَبِكًا بِأَنَّهُ تَسَلَّمَ الرِّسَائِلَ مِنْ مَكْتَبِ الْبَرِيدِ وَأَخْفَى تِلْكَ الرِّسَالَةَ عَنْ الْعَمَّةِ سَالِي حَتَّى لَا يُفْتَضَحَ أَمْرُهُ وَأَمْرُ هَاك .

ثُمَّ شَرَحَ توم خُطَّتَهُ لِإِنْقَاذِ جِيمِ ، وَكَيْفَ أَنَّهُ كَانَ يَنْوِي « الْهَرَبَ » بِهِ فِي النَّهْرِ حَتَّى نِيو أَوْرُلِيَانزَ وَإِخْبَارَهُ هُنَاكَ بِأَنَّهُ كَانَ حُرًّا قَبْلَ إِطْلَاقِ سَرَاخِهِ . ثُمَّ اقْتَرَحَ أَنْ تَكُونَ عَوْدَةُ جِيمِ عَلَى مَتْنِ إِحْدَى السُّفُنِ الْبُخَارِيَّةِ الْفَخْمَةِ ، وَأَنْ تُقَامَ لَهُ حَفْلَةٌ اسْتِقْبَالٍ كُبْرَى عَلَى أَنْغَامِ فِرْقَةٍ مُوسِيقِيَّةٍ ، مَعَ إِقَامَةِ مَسِيرَةٍ بِالْمَشَاعِلِ . وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُذَيِّعَ اسْمَهُ بَيْنَ النَّاسِ الَّذِينَ سَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ كَبَطْلٍ وَكَرَمَزٍ لِأَمَالِ كُلِّ الرُّنُوجِ الْمُسْتَعْبِدِينَ الَّذِينَ يَتَوَقَّعُونَ إِلَى الْحُرِّيَّةِ .





أَخْرَجَ جِيمٌ مِنْ زَنْزَانَتِهِ، وَقَدْ احْتَفَى بِهِ الْجَمِيعُ وَأَقَامُوا - تَكْرِيمًا لَهُ - مَأْدِبَةً كُبْرَى، وَقُدِّمَ لَهُ مَبْلَغُ أَرْبَعِينَ دُولَارًا لِأَنَّهُ كَانَ سَجِينًا نَمُودَجِيًّا طَوَالَ تِلْكَ الشُّهُورِ. وَاطْمَأَنَّ هَاكَ وَتَوَمَّ أَيْضًا إِلَى مُسْتَقْبَلِهِمَا لِعِلْمِهِمَا أَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَبْلَغًا يَفُوقُ سِتَّةَ آلَافِ دُولَارٍ عِنْدَ الْقَاضِي تَاشِرٍ. وَلَكِنَّ هَاكَ شَعَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحُزْنِ لِأَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَى حَيَاةِ الْمَدِينَةِ. فَالْعَمَّةُ سَالِي قَرَّرَتْ أَنْ تَتَبَّاهُ وَأَنْ تُرَبِّيَهُ تَرْبِيَةً صَالِحَةً، وَهَذَا مَا كَانَ قَدْ جَرَّبَهُ سَابِقًا مَعَ الْمَرْحُومَةِ الْآنِسَةِ وَاتْسُون، وَذَاقَ مَرَارَتَهُ.



مارك توين

وُلِدَ مَارْكَ تَوَيْن، وَاسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ صَمُوِيلَ لَانْغُهَوْرَنَ كَلِيمَنَسَ، فِي فُلُورِيدَا بِوِلَايَةِ مِيسُورِي، فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ تَشْرِينِ الثَّانِي (نُوفِبر) عَامَ ١٨٣٥. ذَاقَ الْفَقْرَ فِي طُفُولَتِهِ، إِذْ إِنَّ وَالِدَهُ - بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ مُحِبًّا لِلْعَمَلِ - لَمْ يُوفِّقْ فِي أَيِّ عَمَلٍ قَامَ بِهِ. عِنْدَمَا وُلِدَ مَارْكَ تَوَيْن كَانَ وَالِدُهُ،

جون مارشال كليمنس، يَمْلِكُ مَتَجَرًّا صَغِيرًا فِي فُلُورِيدَا، وَلَكِنَّهُ خَسِرَ الْمَتَجَرَ، فَاضْطُرَّتِ الْعَائِلَةُ لِلانْتِقَالِ حَوَالَى ثَمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ كِيلُومِتْرًا، إِلَى بَلَدَةِ هَنِيَال، الْوَاقِعَةِ قُرْبَ نَهْرِ الْمِيسِيسِيبِي. وَقَدْ نَشَأَ هُنَاكَ وَهُوَ يُرَاقِبُ السُّفْنَ الْبُخَارِيَّةَ تَمُرُّ فِي النَّهْرِ، وَشَهِدَ تَطَوُّرَ الْحَيَاةِ فِي تِلْكَ الْبَلَدَةِ الصَّغِيرَةِ. وَحَمَلَ - خِلَالَ حَيَاتِهِ - ذِكْرِيَاتٍ لَا تُنْسَى مِنْ بَلَدَةِ هَنِيَال، فَكَانَتْ تِلْكَ الذِّكْرِيَاتُ مَصْدَرًا وَحِيًّا لِكَثِيرٍ مِنْ رِوَايَاتِهِ، وَخُصُوصًا «مُعَاوَرَاتِ هَاكَلْبِرِي فِين» (The Adventures of Huckleberry Finn)، وَهِيَ مِنْ أَرْوَعِ آثَارِهِ.

أُضْطُرَّ مَارْكَ تَوَيْن لِتَرْكِ الْمَدْرَسَةِ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ، عِنْدَمَا تُوُفِّيَ وَالِدُهُ سَنَةَ ١٨٤٧، فَتَمَرَّنَ عَلَى الْعَمَلِ فِي مَطْبَعَةٍ. ثُمَّ قَامَ هُوَ وَأَخُوهُ أَوْرِيُون، الَّذِي كَانَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى هَذِهِ الْمِهْنَةِ، بِطِبَاعَةِ صَحِيفَتَيْنِ مَحَلِّيَّتَيْنِ. وَاكْتَشَفَ أَنَّ حَظَّ أَوْرِيُونِ الْمِهْنِيِّ لَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ مِنْ حَظِّ وَالِدِهِ، فَتَرَكَهُ وَتَوَجَّهَ شَرْقًا حَيْثُ عَمِلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ فِي سَانْتِ لُويس وَنِيُيُورْكَ وَفِيلَادَلْفِيَا. عَامَ ١٨٥٧ تَوَجَّهَ إِلَى نِيُو أَوْرِلْيَانز، وَقَرَّرَ أَنْ يُجَرِّبَ نَوْعًا جَدِيدًا مِنَ الْعَمَلِ، فَأَخَذَ يَتَدَرَّبُ عَلَى قِيَادَةِ السُّفْنِ الْبُخَارِيَّةِ. وَآثَرُ هَذِهِ الْفَتْرَةِ مِنْ حَيَاتِهِ ظَاهِرٌ بوضوحٍ فِي كِتَابِهِ «الْحَيَاةُ فِي الْمِيسِيسِيبِي» (Life On The Mississippi) (١٨٨٣).

عِنْدَمَا انْدَلَعَتِ الْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ الْأَمِيرِكِيَّةُ ، سَنَةَ ١٨٦١ ، انْضَمَّ إِلَى أَحَدِ التَّنْظِيمَاتِ الْمُسَلَّحَةِ ، ثُمَّ جَرَّبَ التَّنْقِيبَ عَنِ الْفِضَّةِ فَلَمْ يُوَفَّقْ .

لَمْ يَعْرِفْ مَارْكَ تَوَيْنِ الشُّهُرَةَ إِلَّا كَصَحْفِيٍّ وَكَاتِبٍ هَزْلِيٍّ . وَقَدْ حَقَّقَ أَوَّلَ نَجَاحٍ لَهُ سَنَةَ ١٨٦٥ لَدَى نَشْرِ مَقَالَتِهِ «جِيم سَمَائِلِي وَالضَّفْدَعُ الْوَقَّابَةُ» (Jim Smiley and His Jumping Frog) . فِي إِثْرِ ذَلِكَ ، عَاهَدَ إِلَيْهِ بِالسَّفَرِ إِلَى جُزُرِ هَاوَايَ ، وَقَدْ أُرْسِلَ مِنْ هُنَاكَ مَقَالَاتٍ سَاخِرَةً . ثُمَّ قَامَ بِإِلْقَاءِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْمُحَاضَرَاتِ النَّاجِحَةِ . سَافَرَ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، إِلَى فَلَسْطِينَ وَإِلَى أوروپَا ، فَاتَّخَذَتْ رِحْلَتُهُ تِلْكَ كِتَابَهُ الرَّائِعَ «الْأَبْرِيَاءُ فِي الْخَارِجِ» (The Innocents Abroad) الَّذِي نَشَرَهُ سَنَةَ ١٨٨٩ ، وَقَدْ بَاعَ مِنْهُ فِي السَّنَةِ الْأُولَى سِتُّونَ أَلْفَ نَسْخَةٍ .

بَعْدَ أَنْ تَبَوَّأَ مَارْكَ تَوَيْنِ - بِكُلِّ جَدَارَةٍ - مَرْكَزَهُ ككَاتِبٍ شَعْبِيٍّ ، ازْدَادَ إِنتَاجُهُ ، فَظَهَرَتْ لَهُ رِوَايَاتٌ نَاجِحَةٌ مِنْهَا : «مُعَاوَرَاتُ توم سَوِير» (The Adventures of Tom Sawyer) و «مُعَاوَرَاتُ هَاكَلْبِرِي فِين» (The Adventures of Huckleberry Finn) و «أَمِيرِكِيٌّ مِنْ كُونِتِكْتِ فِي بَلَاطِ الْمَلِكِ آرْثَر» (A Connecticut Yankee at King Arthur's Court) ، و «وِلْسُونُ الْمُغْفَل» (Pudd'nhead Wilson) . وَبِالرَّغْمِ مِنْ نَجَاحِهِ وَشَعْبِيَّتِهِ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا ، وَكَانَ يُنْفِقُ كُلَّ الْمَالِ الَّذِي يَجْنِيهِ مِنْ كُتُبِهِ عَلَى مَشَارِيعَ تِجَارِيَّةٍ فَاشِلَةٍ وَمُعَاوَرَاتٍ وَاخْتِرَاعَاتٍ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَقَعُ فِي الدَّيْنِ أحيانًا . مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي السَّنِّ شَعَرَ بِخِيَّةٍ أَمَلٍ مِنَ الْوُجُودِ وَسَيَّطَرَ عَلَيْهِ التَّشَاوُمُ حِيَالَ مُسْتَقْبَلِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ . وَقَدْ ظَهَرَ فِي كِتَابَاتِهِ الْأَخِيرَةِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّشَاوُمِ فَاجَأَ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ عَرَفُوهُ كَاتِبًا طَرِيفًا وَمُسْلِيًا . تُوُفِّيَ مَارْكَ تَوَيْنِ سَنَةَ ١٩١٠ .

